لمحة عن المسار السياسي لآل سعود

في الدولة الثالثة



إعداد مركز الخطابي للدراسات

alkahttabirw

2020

لمحةٌ عن المسار السّياسي

لآل سعود في الدولة الثالثة

إعداد مركز الخطابي للدراسات.

إعداد مركز "الخطّابي" للدّراسة



مقدّمة:

فيما مضى وإلى وقت قريب، كانت هالةٌ من التعظيم والتوقير تحفُّ العائلة الحاكمة في الدولة السعودية، يعود ذلك بشكل أساسي إلى: التزام أفرادها بإظهار الشعائر الإسلامية نسبيا، وانتسابهم للدعوة الوهابية، ودعايتهم لعلمائها، ونشرهم لموروثها القديم والمعاصر، واعتنائهم بخدمة البقاع المقدسة في مكّة والمدينة، وإفساحهم لهامش من الحرية الدينية في المملكة.

وخلال السنوات القليلة الماضية، خاصّة بعد أحداث حرب الخليج عام ١٩٩١، واحتلال أمريكا للعراق سنة ٢٠٠٣ ولأفغانستان سنة ٢٠٠١، وانفجار الثورات الشعبية في الشرق الأوسط عام ٢٠١١؛ ظهر جدالٌ كبير على الساحة السياسية والإعلامية حول حقيقة وصول آل سعود إلى الحكم، وحول طبيعة قيادتهم للدولة السعودية الثالثة، وأسرار علاقتهم مع البريطانيين ثم الأمريكان.

إلا أن الحدث الأهم الذي سلّط الضوء أكثر فأكثر على سياسة آل سعود؛ هو تولي الشاب محمد بن سلمان للحكم فعليّا في المملكة رغم وجود أبيه سلمان على قيد الحياة، وبدايته لمسيرة سياسية جديدة، تميز عن سابقتها بتقاربٍ معلن وجريء مع الثقافة الغربية.

لقد ظهر جليا بعد إبعاد ابن نايف الذي كان وليا للعهد، واعتقال العديد من أفراد الأسرة الحاكمة ومصادرة أموالهم، وبعد حادثة تقطيع جسد الصحفي "جمال خاشقجي" بالمنشار وتذويب جثّته بالأسيد بحسب المصادر الإخبارية؛ ظهر جليا أن المتنفّذ الحقيقي في المملكة هو محمد بن سلمان، وأن أباه لا يملك

من حكمه غير لقب "الملك". وهو ما جعل وكالة بلومبرغ الأمريكية تقول في أبريل/ ٢٠١٦: **"محمد بن سلمان سيّد كل شيء"!**

لقد خلقت هذه الأحداث الأخيرة تساؤلات عديدة حول تعاطي آل سعود مع قضايا العالم الإسلامي. ومع الصراحة الشديدة التي يتميز بها "ترمب" الرئيس الأمريكي الجديد، أصبحت بعض النخب السياسية تجاهر بتخوين الأسرة السعودية الحاكمة، وصارت تتهمها علنا بتسليم النفط العربي لأمريكا مقابل تعهد الأخيرة لها بالحماية، وبمحاربة الحركات التحررية ودعم الدكتاتورية في أنحاء العالم، بدايةً من السّيسي رئيس ما بعد الانقلاب، ومرورا ببشار الأسد الكيماوي، وانتهاءً بيهود إسرائيل ورئيس وزرائهم "نتنياهو".

فهل كان فعلا حكام آل سعود منذ البداية صناعةً وظيفيّة لحماية أمن إسرائيل، وإسقاط الدولة الإسلامية الأخيرة، الدولة العثمانية؟ وهل الرئيس "ترمب" اليوم يكمل نهب ثروات العرب من خلال حكام آل سعود ولكن بشكل مفضوح؟ وهل لآل سعود دور في التطبيع مع اليهود وتطويق الحركات التحررية؟ أم أن ذلك كله لا يعدو أن يكون مجرّد إشاعات لا صحّة لها على أرض الواقع؟

جاءت دراستنا هذه لتجيب على كل هذه الأسئلة وفق المحاور التالية:

- أولا: لمحة عن التاريخ القديم للدولة السعودية
- ثانيا: نشأة الدولة السعودية الثالثة
- ثالثا: المسار السياسي لآل سعود خلال حكمهم للدولة الثالثة

أولا: تاريخ الدولة السعودية.

1. لمحة عن التاريخ القديم:

مرّت الدولة السعودية بثلاث مراحل رئيسية عبر التاريخ، وشهدت ثلاثة أطوار مختلفة. تأسست الدولة الأولى على يد محمد بن سعود عام ١٧٤٤ في منطقة الدرعيّة، وعُرفت هذه الدولة حينها بإمارة الدرعيّة نسبة إلى هذه المنطقة، كما عُرف محمد بن سعود بمناصرته لدعوة محمد بن عبد الوهاب مؤسس المدرسة الوهابية. امتدّ هذا الطور قرابة الـ ٧٤ سنة، غير أن الدولة في هذا العهد قد انهارت سنة ١٨١٨ بعد أن تعرّضت لحملات إبراهيم باشا بن محمد علي باشا والي العثمانيين على مصر.



لم يدم طويلا سقوط الدولة السعودية الأولى، ففي عام ١٨٢٤، استطاع تركي حفيد محمد بن سعود الفرار من قوات إبراهيم باشا، وتثبيتَ الدولة التي جعل الرياض عاصمتها. امتدت الدولة السعودية الثانية إلى حائل والإحساء وتوسعت على حساب القبائل البدوية التي كانت منتشرة حول الرياض، إلا أنها لم تكن باتساع الدولة السعودية الأولى التي كانت قد سيطرت على معظم الجزيرة العربية. وفي سنة ١٨٩١، استطاع محمد بن عبد الله بن رشيد السيطرة على الرياض والقضاء على الدولة الثانية بمساعدة العثمانيين، مما جعل معظم المتبقين من أسرة آل سعود يلوذون بالفرار نحو الكويت.



2. نشأة الدولة السعودية الثالثة:

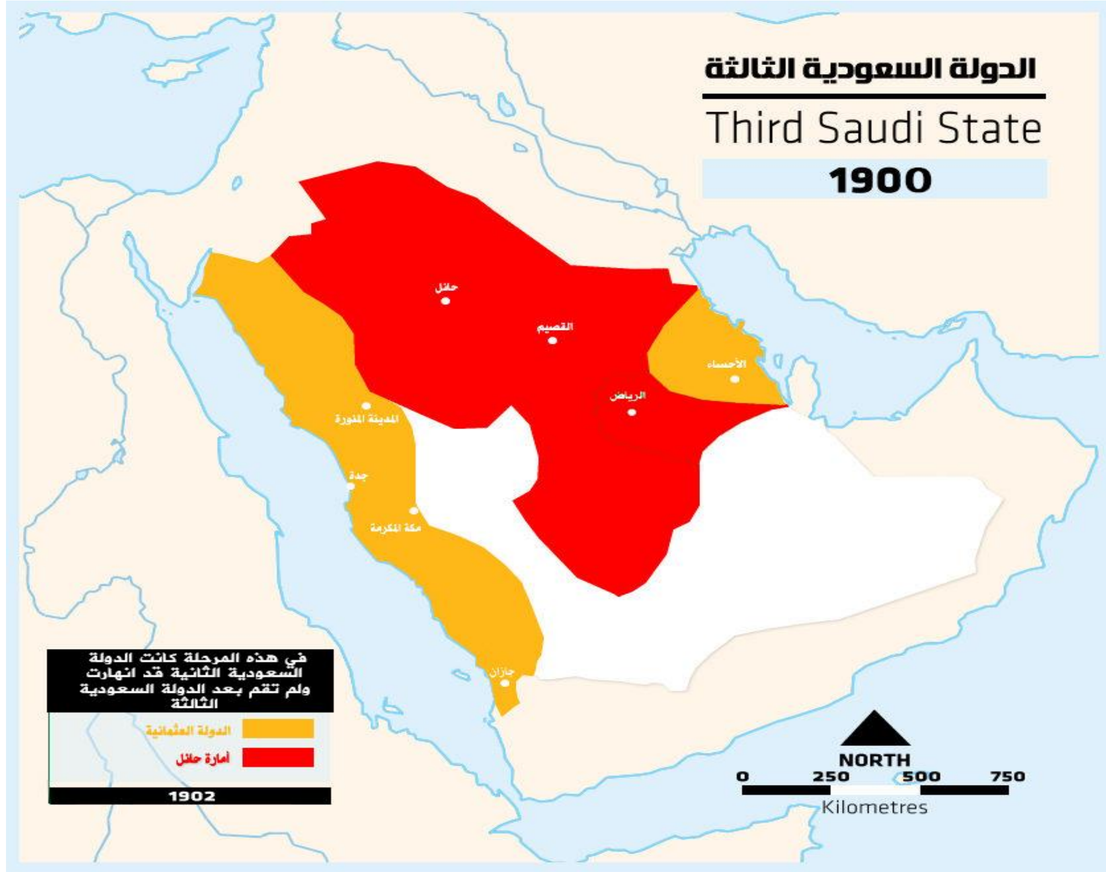


تمكن عبد العزيز بن سعود بمساعدة البريطانيين من ضم العديد من المناطق، من أهمّها: جنوب نجد وسدير والوشم سنة 1902، القصيم سنة 1904، الأحساء سنة 1913، عسير عام 1919، حائل سنة 1921 ... وتمّت له السيطرة على الحجاز في عام 1925. وفي سنة 1930 استطاع توحيد منطقة جازان، ثم أعلن المملكة العربية السعودية سنة 1932.

خلال بداية القرن العشرين، كان عالمنا الإسلامي يتعرض لحملات تقسيم وتفكيك من قِبل الدول الأوروبية العظمى. وبعد الانهيار التدريجي للدولة العثمانية، وقعت معظم بلداننا تحت وطأة الاحتلال العسكري المباشر، كما يتضح في التواريخ التالية:

الدولة	تاريخ الاحتلال	الدولة الغازية
تركستان الشرقية	١٧٦٠	الصين
الإمارات	١٨١٩	بريطانيا
المغرب	١٨٣٠	فرنسا
الجزائر	١٨٣٠	فرنسا
القوقاز	١٨٣١	روسيا
اليمن	١٨٣٩	بريطانيا
كشمير	١٨٤٦	بريطانيا
باكستان	١٨٧٥	بريطانيا
تونس	١٨٨١	فرنسا
مصر	١٨٨٢	بريطانيا
الصومال	١٨٨٤	بريطانيا
جيبوتي	١٨٩٦	فرنسا
السودان	١٨٩٨	بريطانيا
الكويت	١٨٩٩	بريطانيا
موريتانيا	١٩٠٣	فرنسا
النيجر	١٩٠٤	فرنسا
ليبيا	١٩١١	إيطاليا
عمان	١٩١٣	بريطانيا
قطر	١٩١٦	بريطانيا
تركيا	١٩١٨	بريطانيا+فرنسا+روسيا+اليونان
العراق	١٩١٩	بريطانيا
فلسطين	١٩٢٠	بريطانيا
سوريا	١٩٢٠	فرنسا
لبنان	١٩٢٠	فرنسا
الأردن	١٩٢١	بريطانيا
أوزبكستان	١٩٢٤	روسيا
أفغانستان	١٩٤٠	بريطانيا

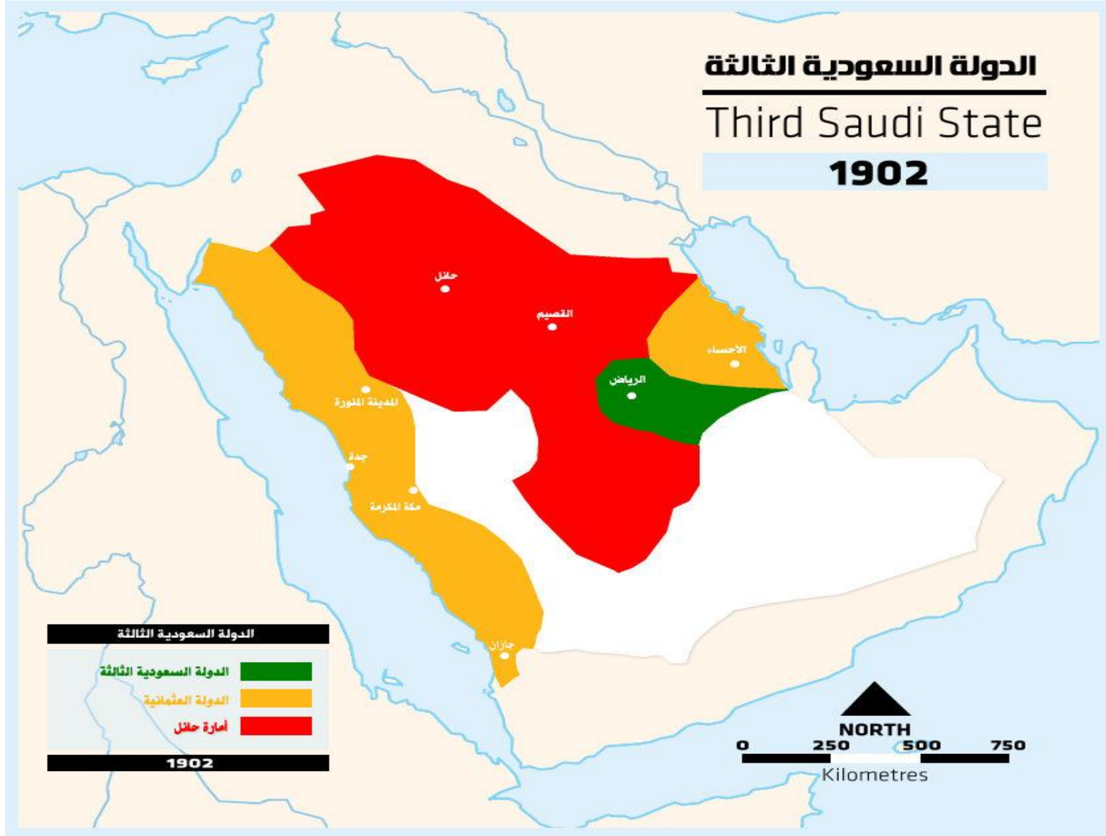
كانت السيطرة في الجزيرة العربية سنة ١٩٠٠، متوزّعة بين إمارة آل رشيد، وعاصمتُها حائل -وقد كانت مبايعةً للعثمانيين- وبين الحُكم المباشر للدولة العثمانية في الأحساء والحجاز.



ورغم الغفلة الفكرية والثقافية التي كان المسلمون يعيشونها في ذلك الوقت، ورغم بداية انسحاب الدولة العثمانية عن المشهد السياسي، لم يكن احتلال الجزيرة العربية أمرا متيسّرا بالنسبة لبريطانيا، فقد كانت فكرة تمرّد المسلمين وانفجار الوضع في حال دخلت القوات الأجنبية إلى مكة والمدينة ترعِبُ الساسة البريطانيين وتؤرّقهم بشكل كبير، وهو ما جعلهم يفكرون في طريقة احتلالٍ ناعمة تدفع عنهم هذه المفسدة.

وبحسب السياق التاريخي لتلك المرحلة، الظاهر أن الإنجليز قد وجدوا في الخلاف السعودي الرشيدي فرصة لتحقيق مصالحهم التوسعية، خاصة وأن

أمراء آل السعود المهجّرين في الكويت كانوا يظهرون الجاهزية اللازمة لضرب النفوذ الرشيديّ المحالف للعثمانيين كما سيتضح معنا في الرسائل التي كان يرسلها عبد العزيز بن سعود للساسة البريطانيين.



وبغض النظر عن الظروف الحقيقية التي أدت إلى انطلاق عبد العزيز نحو الرياض، إلا أن الحقيقة التاريخية تثبت أن الأخير قد تسلل إلى الرياض سنة ١٩٠٢ واستطاع السيطرة عليها وانتزاعها من آل رشيد برفقة بعض رجاله الشجعان.[١]

---

[١] جاء في بعض المراجع أن أمير الكويت مبارك الصباح هو من أشار على البريطانيين بتوظيف آل سعود في حرب العثمانين، وأن الأخيرين عندما عرضوا الأمر على عبد الرحمن بن سعود قدم لهم ابنه عبد العزيز لتنفيذ المهمة. ولكننا لم نعتمد هذه الرواية لأنها تفتقد للمراجع الموثوقة التي تثبت صحتها.

في نفس الحِقبة، كان الإنجليز قد أوعزوا للشريف الحسين بمهاجمة العثمانيين في الحجاز، واغترّ بوعد البريطانيين له الذي يقتضي إقامةَ خلافةٍ عربية على أنقاض الخلافة العثمانية، وقال له مكماهون في رسالة يحرّضه فيها على مهاجمة العثمانيين:

"إن جلالة ملك بريطانيا العظمى يرحّب باسترداد الخلافة إلى يد عربيّ صميم من فروع تلك الدوحة النبوية المباركة."

جورج أنطونيوس يقظة العرب


صورة حقيقية للشـــريف حسين

ثم أمدّه بما يحتاج من المال والسلاح، مما مكّن الشريف الحسين من السيطرة على الحجاز فيما يسمى بالثورة العربية الكبرى سنة ١٩١٦.

في نفس العام (١٩١٦)، وقّعت فرنسا وبريطانيا اتفاقية "سايكس بيكو" التي تم فيها اقتسام الدول العربية الواقعة شرقيّ المتوسط. وبعد عام واحد تقريبا، أي سنة ١٩١٧، صدر "وعد بلفور" الذي نُصّ فيه على تقديم بريطانيا دعمَها لليهود ليتمكنوا من إقامة وطن قومي لهم في فلسطين، رغم أن اليهود كانوا هناك أقليّةً حينها.



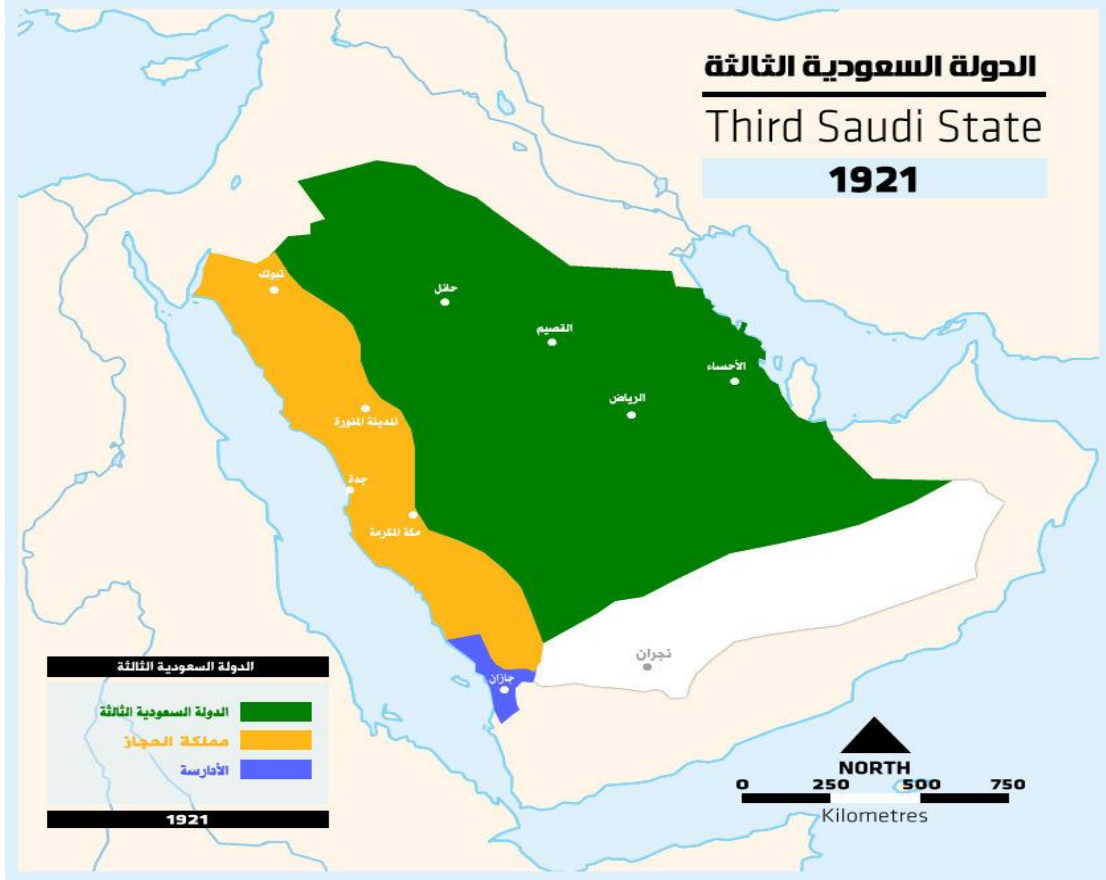
آرثر بلفور وزير خارجية بريطانيا　　مارك سايكس ممثل بريطانيا　　فرانسوا جورج بيكو ممثل

أما الجزيرة فقد كانت سنة ١٩١٧ مقسّمة على ثلاثة كيانات مختلفة:

- في الغرب تقعُ مملكة الحجاز التي أنشأها الشريف حسين وعاصمتُها مكة المكّرمة.
- وفي الشمال كانت دولة آل رشيد وعاصمتها حائل.
- وفي الشرق كانت الدولة السعودية الثالثة التي أسّسها عبد العزيز بن سعود، وكانت قد توسعت أكثر على الإحساء وأصبحت الرياض عاصمتها، كما حصلت على الاعتراف البريطاني بعد معاهدة القطيف (دارين) التي تم توقيعها سنة ١٩١٥.

حاول ابن سعود أن ينتزع مناطق الشمال من آل رشيد، إلا أنه لم يفلح في ذلك بدايةً. ولأن العرب لا يحصل لهم الملك إلا بصبغة دينية من نبوّة أو ولاية أو أثر عظيم كما قال ابن خلدون؛ عمد عبد العزيز إلى تبني دعوة الشيخ محمد بن

عبد الوهاب لحشد أهل الجزيرة، وعلى إثر ذلك قرر تأسيس تنظيمٍ دينيّ أسماه "إخوان من أطاع الله" [٢]



---

[٢] هم عبارة عن مجاميع من القبائل البدائية التي كانت منتشرة حول الرياض. يُعتبر منهجهم امتداداً لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب. وقد كانت بداية نشأتهم كتنظيم في سنة ١٩١١ عندما جمعهم عبد العزيز في تجمعات سكانية سميت بالهجر، وهم أصحاب شكيمة وبأس في القتال. ناصروا الملك عبد العزيز بن سعود أول الأمر ظنا منهم أنه سينشر دعوتهم في كل العالم الإسلامي، ثم بعد انتهاء الحرب الحجازية أراد الإخوان متابعة طريق الجهاد وتوسيع رقعة البلاد، ولكن ذلك لم يرق لعبد العزيز الذي كان قد التزم بتقسيمات سايكس وبيكو، فراسل بريطانيا وأخبرها بالأمر، وطلب منها العون للقضاء على الإخوان المتمردين.

وفي وقعة "السبلة" عام ١٩٢٩ استطاع عبد العزيز القضاء على الإخوان بتغطية جوية من الطائرات البريطانية، وبمساعدة من القبائل العربية الموالية له، والتي كان قد أقنعها بخارجية "إخوان من أطاع الله"، ومشروعية قتالهم.

وفي سنة ١٩٢١، بدأ ابن سعود بمهاجمة إمارة حائل مستخدماً الإخوان الذين كانوا يشكّلون أساس جيشه، فتمكن من السيطرة عليها في سبتمبر من نفس السنة، ولم يمض إلا شهران من بداية الهجوم حتى استسلم آل رشيد رسميا، وأصبحت حائل وما حولها جزءاً من مملكة آل سعود. أما عائلة الرشيد، فقد ترك معظم أفرادها السياسة، واختاروا العيش في الرياض بسلام تحت حكم ابن سعود.

بعد استقرار الحكم لعبد العزيز في نجد وحائل، بدأت أنظاره تتوجه نحو الحجاز الذي كان من حصة الشريف حسين. وفي صمتٍ بريطانيّ، قام ابن سعود بإعلان الحرب على مملكة الحجاز في مارس ١٩٢٤، واستطاع خلال مدة وجيزة احتلال الطائف ومكة، ثم كل الحجاز.

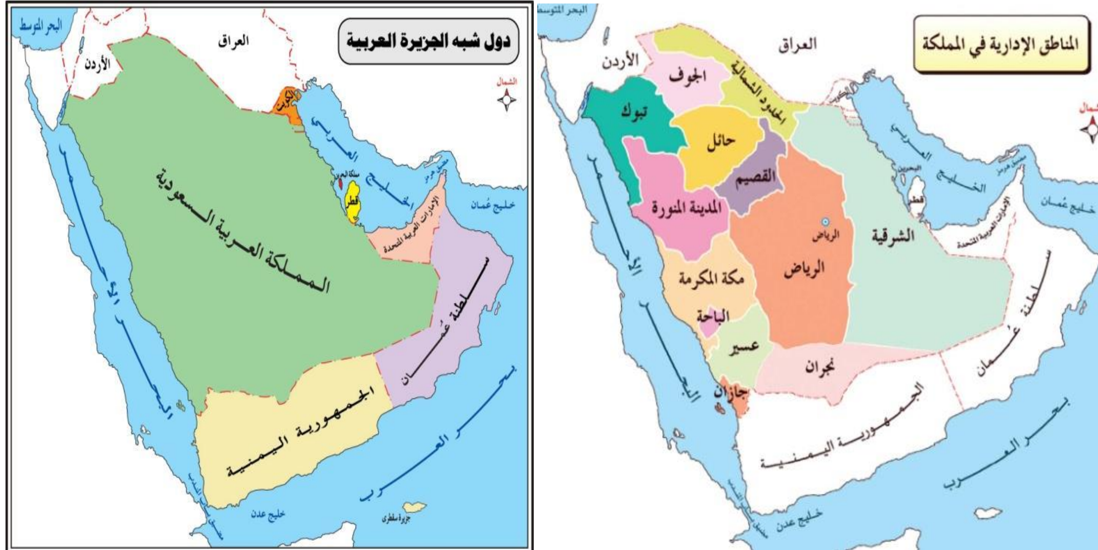
وبعد قضائه على المملكة الحجازية، اتجه ابن سعود نحو جازان التي كانت تقع تحت سيطرة الدولة الإدريسية[٣]، وبأساليب دبلوماسية وعسكرية لا يتسع البحث لذكرها، استطاع عبد العزيز ضم جازان إليه سنة ١٩٣٠، لتتوحد الجزيرة العربية تحت حكمه وليقوم بإعلان "المملكة العربية السعودية" سنة ١٩٣٢.

ومنذ ذلك الوقت وحتى اليوم، أصبحت المملكة الوليدة ممتدةً على معظم أجزاء الجزيرة العربية، تخضع أولا لحكم سلالة آل سعود، أبناءِ عبد العزيز وأحفاده من بعده، وتقع ثانيا تحت الإشراف والرعاية والحماية الأجنبية.

---

[٣] نشأت الدولة الإدريسية بعد انتصار التمرد الذي قاده محمد بن علي الإدريسي على قوات الدولة العثمانية في جازان جنوب الحجاز، وقد انسحبت القوات العثمانية نهائيا من جازان بعد حصارها من قبل القوات الإيطالية بحرا وقوات التمرد الإدريسي برا، وكان ذلك سنة ١٩١١ فيما سمي بمعركة الحفائر. وبعد انسحابها أعلن محمد بن عليّ الإدريسي قيام مملكته في جازان وما حولها.

أما الشريف حسين، فقد تمّ نفيه إلى قبرص ليكون تحت رقابة الإنجليز، فأقام فيها ست سنين بغمّ وهمّ شديدين، ثم إنه مرض فأذِن له الإنجليز بالعودة إلى عمان بصحبة ولديه فيصل وعبد اللهّٰ، وهناك وافته المنية.



ثانيا: الدولة السعودية الثالثة تحت حماية الدول العظمى.

1744	• نشأة الدولة السعودية الأولى على يد محمد بن سعود ومحمد بن عبد الوهاب، عاصمتها الدرعية.
1818	• انهيار الدولة السعودية الأولى على يد إبراهيم باشا بن علي باشا والي العثمانيين على مصر.
1824	• نشأة الدولة السعودية الثانية، عاصمتها الرياض.
1891	• سقوط الدولة الثانية على يد محمد بن عبد الله بن رشيد أمير حائل وحليف العثمانيين.
1902	• انتزاع الرياض من آل رشيد وتأسيس الدولة الثالثة على يد عبد العزيز.
1911	• تأسيس تنظيم "إخوان من أطاع الله".
1915	• سيطرة عبد العزيز على الأحساء بعد طرد العثمانيين منها، وتوقيع اتفاقية دارين.
1916	• توقيع اتفاقية سايكس بيكو، وصدور وعد بلفور، وسيطرة الشريف حسين صاحب الثورة العربية على الحجاز.
1921	• سقوط الدولة الرشيدية، وسيطرة عبد العزيز على حائل وما حولها.
1926	• سقوط مملكة الشريف حسين، وسيطرة عبد العزيز على الحجاز.
1927	• توقيع معاهدة جدة بين بريطانيا وعبد العزيز.
1929	• القضاء على إخوان من أطاع الله في موقعة السبلة.
1930	• سقوط دولة الأدارسة بشكل رسمي ودخول جازان تحت حكم عبد العزيز.
1932	• إعلان المملكة العربية السعودية.
1945	• أول لقاء للملك عبد العزيز بالرئيس روزفلت فوق البارجة الحربية الأمريكية
1974	• توقيع المعاهدة الاقتصادية التي سيطرت من خلالها أمريكا على نفط السعودية

1. التبعية السعودية للتاج البريطاني:

"لقد قمتم بكل نُبل بالمهمّة التي أوكلتها إليكم منذ ثمانية عشر عاما، لقد جعلتَ من نفسك ملكا على الخليج، وعندما تنتهي الحرب فسوف نُعزّز تلك الجهود ونعمل على ألا يقوم أحد بانتزاع هذا التاج منكم"

رسالة من "كرزن" وزير الخارجية البريطانية إلى بيرسي كوكس مندوب بريطانيا على الخليج.
مؤرّخة في ٢٢ يناير/كانون الثاني ١٩١٧

يقول بعض الباحثين والمؤرخين -أغلبهم كان متأثرا بالعطايا السعودية- أن العلاقة التي أنشأها عبد العزيز مع البريطانيين؛ كانت علاقةً نديّةً تقوم على المصالح المشتركة التي تقتضيها المرحلة، وهي لم تكن تؤثّر أبدا على قِيم الدولة السعودية الثالثة، أو على استقلالية ابن سعود في قراراته.

ومن أجل الوصول إلى الحقيقة، قمنا بمراجعة الوثائق البريطانية التي تحدث عن تلك الحقبة، كما قمنا بالاطلاع على العديد من الكتب والبحوث التي تتناول هذه المرحلة التاريخية. وبعد بحث مطوّل بين روايات المؤيدين والمعارضين، اتضح لنا من سيرة ابن سعود الميدانية وصفاته الشخصية الأمور التالية:

ابن سعود يستثمر عداوة البريطانيين للدولة العثمانية

تماما كما يفعل أحفاده اليوم[٤] استطاع ابن سعود بذكائه أن يستثمر الحرب البريطانية العثمانية لصالحه إلى حدّ كبير، وقد علم أن إخلاصه في عداوته لخُصوم بريطانيا سيكسبه رضاها، وسيجعله رجلها الذي ستبني عليه مستقبل مصالحها

[٤] في إحدى تصريحاته، قال محمد بن سلمان في ٦ مارس/آذار ٢٠١٨: "العثمانيون وإيران والجماعات الإرهابية هم ثالوث الشر".

في الجزيرة العربية. ولهذا السبب، لم يكن الرجل يفوّت فرصةً أو مناسبة إلا ويعلن فيها للبريطانيين كرهه الشديد للعثمانيين وحقده عليهم. لقد كان يُظهر الفرحة عند هزيمة العثمانيين والحزن عند انتصارهم، وكان يرسل التهاني إلى الإنجليز إذا ما ظهروا في الحرب، كما لم يكن يتوانى أبدا عن مواساتهم إذا ما انتكسوا.

وبحسب رسالته المؤرخة في سبتمبر/أيلول ١٩١٦، أرسل عبد العزيز آل سعود رسالة إلى المقيم السياسي البريطاني في البحرين الكابتن ترنشارد كرافن فاول، يشكره فيها لأنه أرسل إليه أخبار الحرب العالمية الأولى عن انتصارات البريطانيين في الجبهة، ويعلن سُروره وفرحه بما أسماه "ذُلّاً" للعثمانيين على يد البريطانيين، يقول ابن سعود في هذه الرسالة: "أحسنتم الإفادة بمعلومات الحرب والتلغرافات الواردة إليكم، **لقد سرّني كثيرا إذلال أعداء الجميع (العثمانيين)، ولا شك إن شاء الله أن صديقتنا الدولة البهية (البريطانية) وحلفاءها منصورون على الأعداء**، ودائما إن شاء الله ستوافوننا بالأخبار المُسرّة، وانتصاراتكم الدائمة".[٥]

كان ابن سعود أحيانا يُفرِط في اعتماد هذه السياسة لدرجة أن يصبح الإنجليز هم من يقومون بتهدئته، حصل ذلك قُبيل الحرب العالمية الأولى، عندما صعّد عبد العزيز من سياسته ضد الدولة العثمانية بينما كانت الأخيرة لازالت في موقف قوّة وعنفوان، فقام الإنجليزُ بمراسلة عبد العزيز ونصحه بالرضوخ للأتراك، وإبداء بعض المرونة لهم بسبب ضغوط المرحلة. وفي رسالة مؤرخة بالأول من أبريل/نيسان ١٩١٤، أرسل عبد العزيز ردا يشكر فيه المقيم السياسي البريطاني

---

٥ كتاب «الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية (نجد والحجاز)» اختيار وترجمة وتحرير: نجدة فتحي صفوة، دار الساقي.

في البحرين الكابتن تريفور على نصائحه لابن سعود في كيفية تعامله مع العثمانيين، وأخبره أنه قد قَبِل هذه النصائح وسيعمل بها، ولن يُعلن استقلاله في الجزيرة العربية خلال تلك المرحلة.[٦]

الجدير بالذكر، أن ابن سعود في تلك الحقبة لم يكتف ببناء الثقة لنفسه عند الإنجليز، بل أراد أن يكون رجل بريطانيا الوحيد في الجزيرة العربية، وذلك عبر إسقاط مكانة العمود الأساسي للبريطانيين في المنطقة؛ آل صباح حكام الكويت. "وعلى الرغم من أن مبارك آل صباح هو الذي ساعد عبد العزيز آل سعود في حملته لاسترداد الرياض وتأمينها، وعلى الرغم أنه كان يدعمه عسكريا بشكل متتالي ضد آل رشيد، فإن عبد العزيز كان يُقلّل من دور الشيخ مبارك آل صباح في مباحثاته مع صديقه شكسبير مندوب بريطانيا المخصص لمرافقته، لقد قال في إحدى مراسلاته: "إن آل سعود أفضل من مبارك حقا، لأنهم لم يكن لهم فيما مضى أي تعامل مع الأتراك، ولم يرفعوا العلم التركي مثل مبارك، ولم يعترفوا حتى بخلافة السلطان" .[٧]

صحيح أن ابن سعود كان يتقرّب بشغف من الإنجليز، إلا أن بريطانيا كانت في البداية خجولة في التعاطي معه، ولم تكن مقتنعة تماما بجدوى استعماله. رغم هذا، لم يقطع عبد العزيز الأمل ببريطانيا، بل بقي محافظا على علاقاته الودية ورسائله العاطفية مع صديقه المقرّب شكسبير. وبحسب الوثائق البريطانية المنشورة، فإن شكسبير قد أرسل إلى مديره المباشر المقيم البريطاني في الخليج العربي "بيرسي كوكس" تقريرا مفصّلا بفحوى مقابلته مع ابن سعود يقول فيها: "عاد عبد العزيز مرارا إلى ذكر الرسائل التي أرسلها أبوه عبد الرحمن إلى المقيم

---

[٦] نفس المصدر.

[٧] جمال قاسم - تاريخ الخليج العربي

في بوشهر[8] في وقت تعيين معتمد سياسي في الكويت تقريبا، وأبدى أسفه لأننا لم نقابل مفاتحاته الودية بمودّة خلال الأزمنة السالفة. لقد شرح لي تاريخهم لتلك السنين الماضية (في الدولتين السعوديتين الأولى والثانية) ليثبت أن آل سعود كانوا دائما على صلات ودية مع الإنجليز وأنهم كرهوا الأتراك كرها عميقا في كل حين".[9]

وعندما لم يلق ابن سعود الردّ الذي كان يرجوه، وعندما لم يحصل على الوصاية البريطانية التي كان يسعى لنيلها، أراد تقديم المزيد من التضحيات لعلّ ذلك يقنع السادة الإنجليز، فاقترح على شكسبير أن يقوم بنفسه باحتلال الأحساء التي كانت تحت سيطرة العثمانيين، ثم استقدام البريطانيين إليها بعد طرد الدولة العثمانية، وبحسب الوثائق البريطانية فإن عبد العزيز أرسل لشكسبير قائلا: "إن آل سعود إذا حكموا الأحساء وأقام ضابط بريطاني في أحد الموانئ فإننا سنستفيد كثيرا من زيادة التجارة التي ستنتج من وجود سلطة ثابتة وفعّالة على البدو الذين يجعلون الطرق التجارية إلى الداخل غير مأمونة في الوقت الحاضر"[10]

وبعد مفاوضات بين الجانبين، ومراسلات بين شكسبير ورئيسه كوكس في بوشهر، أثمرت أخيرا جهود ابن سعود، وجاءت الموافقة "السرية" البريطانية في البرقية رقم ١٠٥- B بتاريخ ٢٣ يناير/كانون الثاني ١٩١٥ على تقديم المساعدة البريطانية للسعوديين في حال تعرضوا لهجوم من قوى أخرى، وذلك مقابل ألا

[8] مدينة إيرانية على ساحل الخليج الفارسي، كان يقيم فيها المندوبون البريطانيون الذين يشرفون على مصالح بريطانيا في الخليج العربي.

[9] كتاب «الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية (نجد والحجاز)» اختيار وترجمة وتحرير: نجدة فتحي صفوة، دار الساقي.

[10] نفس المصدر.

يتعامل عبد العزيز آل سعود مع أي دولة أخرى، ولا يمنح أي امتيازات لرعايا أي دولة أخرى إلا بنصيحة من الحكومة البريطانية، وأن تتوافق الحكومة البريطانية وابن سعود على عقد معاهدة تفصيلية فيما يتعلق بالأمور المتبقّية في أسرع وقت. [١١]وقد كان هذا الاتفاق قبل معاهدة "دارين" الرسمية التي سيأتي ذكرها.

ومن ذلك الحين أصبحت الأموال والأسلحة البريطانية تتدفّق إلى عبد العزيز لتكون عونا في حربه ضد العثمانيين وآل رشيد، كما تثبت الرسالة التي بعثها ابن سعود في تلك الحقبة لطلب مزيد من الدعم البريطاني؛ "اسمحوا لي أن أُبدي أنني سبق أن رجوتُ سعادتكم أن ترسلوا لنا مدربا يُرينا كيفية استعمال الأسلحة، وقد أخبرتُ سعادتكم أيضا عن العتاد الخاص بالمدافع، فقد نفد كل ما كان عندي في معركتي مع العجمان، وإنني أطلب إلى سعادتكم إما أن ترسلوا لي المدافع المذكورة أو العتاد الذي يصلح للمدافع الموجودة، ورأيكم هو الأفضل، أرجو مواصلة رعايتكم لهذا الصديق المخلص"[١٢]

أما العثمانيون، فقد علموا في تلك الحقبة ما يخطط له ابن سعود وبريطانيا، "فبعثوا حسن شكري القائد العسكري العثماني الذي جاء لدعم حليفه ابن الرشيد إلى عبد العزيز آل سعود بينما كان في عنيزة، وقد قام بتحذيره من العواقب الوخيمة وراء توسّعه في بلاد نجد مدعوما من القوى الأجنبية المعادية للعثمانيين ولحليفهم ابن الرشيد في وسط الجزيرة العربية، كما قال له في رسالته: "إن جلالة الخليفة الأعظم (عبد الحميد الثاني) بلغه اضطراب الفتنة في بلاد نجد، وأن يدا

---

[١١] الكابتن شكسبير ومهمته لدى الملك عبد العزيز

[١٢] من عبد العزيز آل سعود إلى بيرسي كوكس المقيم البريطاني في الخليج بتاريخ ١٩١٧/٦/١٧م - الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية، المجلد الثالث، ص٦٥٨

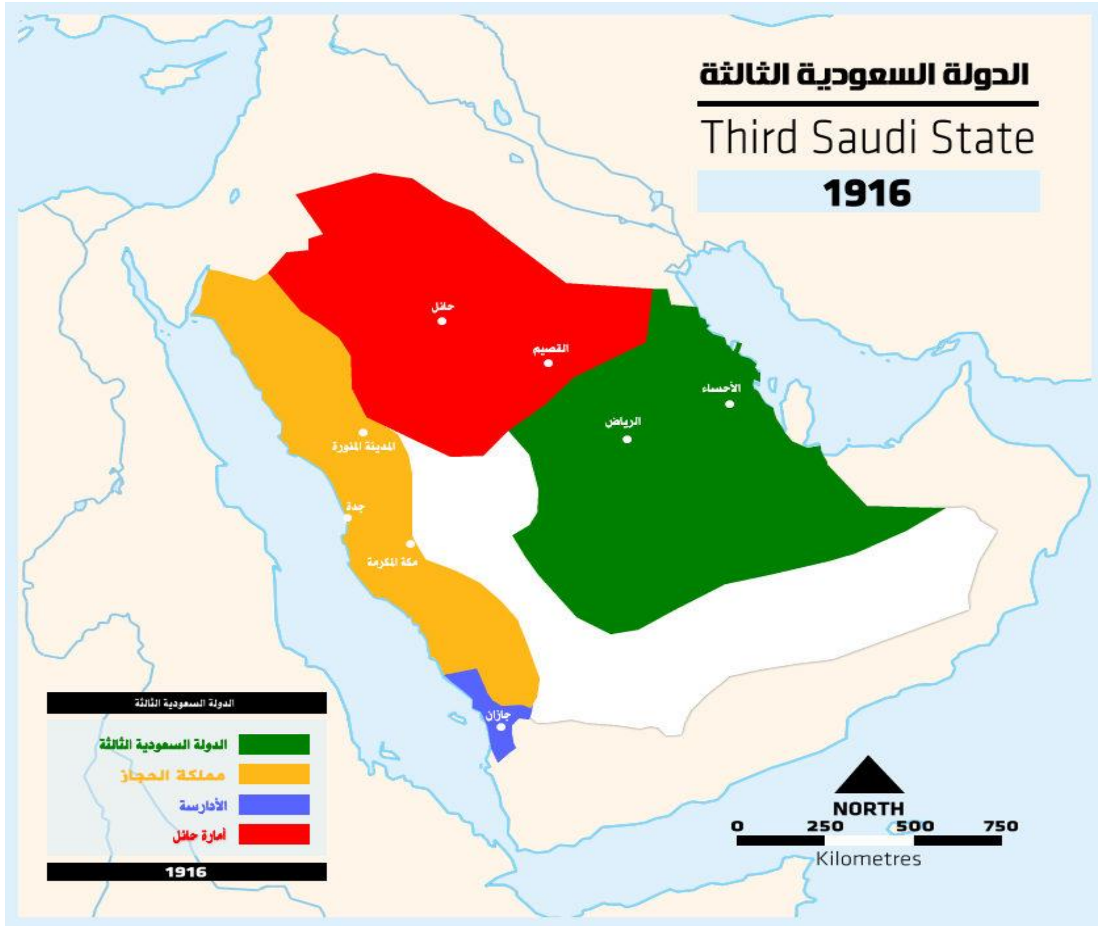
أجنبية محرّكة لها، لهذا السبب بعثني إليكم حقنا للدماء ولمنع التدخل الأجنبي في بلاد المسلمين"[١٣]، ثم أخبره أنه ما جاء دعما لآل الرشيد فقط، وإنما يمكن لابن سعود أن ينضوي تحت جناح الدولة العثمانية". لقي ابن السعود هذا العرض بالرفض القاطع، بل إنه استثمره مُجدّدا لنيل مرضاة البريطانيين، حيث كان يرسل النسخ الأصلية من الرسائل التي تأتيه من العثمانيين إلى بريطانيا، وكان يطلع بيرسي كوكس وشكسبير على كل شيء يحدث معه وبشكل دوري، ليبرهن لهم إخلاصه الشديد لجلالتهم.

ثم مع الوقت، وبسبب ضعف الدولة العثمانية وانشغالها بالحروب ضد بريطانيا وفرنسا وروسيا في العديد من الجبهات، استطاع ابن سعود احتلال الأحساء سنة ١٩١٥.

وبعد هزيمته للقوات العثمانية، واستيلائه على الأحساء عمليا، اقتنع البريطانيون أن بوسعهم الاعتماد على عبد العزيز في خدمة المصالح البريطانية وطرد النفوذ العثماني من الجزيرة العربية بشكل نهائي، وهو ما يفسّر توقيع معاهدة دارين أو معاهدة القطيف التي أبرمت سنة ١٩١٥، وقد كانت بين السير بيرسي كوكس ممثلاً عن الحكومة البريطانية، وابن سعود ممثلا عن إمارة الرياض والأحساء، ومما نصّت عليه ألا يدخل الأخير في حلف أو معاهدة أو مراسلة مع أية دولة أجنبية دون إذن بريطانيا، وألا يبيع ولا يرهن ولا يؤجر نجد والأحساء والقطيف والجبيل ولا أي جزءٍ منها. مقابل دعم بريطاني -عسكري ومالي- مفتوح، واعتراف سياسي من بريطانيا بحكم عبد العزيز وأولاده وأحفاده من بعده.

---

١٣ الريحان في التاريخ النجدي.



وقد ذكر الأمير طلال بن عبد العزيز بن سعود أن أباه قد أصبح يتقاضى راتباً ضخماً من عند البريطانيين منذ تلك المعاهدة، وفي هذا الإطار كشفت مكتبة قطر الوطنية عن بعض الوثائق التي تخص الدولة السعودية، وكان من بينها وثيقة رسمية تثبت تلقي الملك عبد العزيز بن سعود أموالاً من البريطانيين.

بعد انتهاء الأحساء، توجهت أنظار ابن سعود ومشغليه البريطانيين إلى إمارة حائل. يقال أن بريطانيا كانت تريد استمالةَ آل رشيد، وأمرت عبد العزيز بالتصالح معهم وإقناعهم بالانقلاب على العثمانيين، إلا أن الأخير لم يشأ أن يكون للإنجليز رجل غيره في الجزيرة العربية، إنه لم يقبل بوجود آل الصباح وحاول إسقاط مكانتهم، لقد فعل ذلك رغم مساعدتهم له ووقوفهم في صفه، فكيف بآل رشيد رجال العثمانيين في المنطقة.

"وبحسب سجلات الخارجية البريطانية فقد أرسل عبد العزيز إلى كوكس شارحا أسباب رفضه التصالح مع آل رشيد بقوله: "كما تعلمون سعادتكم أنه (ابن الرشيد) بعث إليّ برسول مع كتاب يُعرب فيه أنه ينوي السلم، فأجبته أنه يستطيع أن يُصبح صديقا لنا بشرط أن يُظهر الصداقة نحو صديقتنا الحكومة البريطانية وحلفائها من رؤساء العرب كالشريف، وأن لا يقوم بأي شيء لا ترضى عنه الحكومة البريطانية أو ضدها... وعندما سلّمت الرسالة إلى ابن الرشيد فإنه أعقبها بجواب كتبه إلينا رافضا فيه هذه الشروط كما ترون من رسالته (المرفق أصلها)". ويبرر ابن سعود هذا الرفض لا لشيء إلا لولائه التام لخدمة بريطانيا العظمى قائلا: "إنني لم أستهدف الصلح معه لأي غرض شخصي، بل من أجل مصالح الحكومة البريطانية".[١٤]

---

[١٤] كتاب «الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية (نجد والحجاز)» اختيار وترجمة وتحرير: نجدة فتحي صفوة، دار الساقي.

ابن سعود يستثمر رفض العثمانيين والشريفِ حسين الاعتراف بوعد بلفور.

ولأن معاهدة دارين قد صدرت تقريبا في نفس السنوات التي صيغت فيها اتفاقية سايكس وبيكو، وفي نفس الفترة التي صدر فيها وعد بلفور، قيل أن ابن سعود قد تعهّد أيضا منذ ذلك الوقت ألا يمانع بتسليم فلسطين كوطن لليهود، مقابل سماح بريطانيا له بالسيطرة على الحجاز الذي كان يقع تحت نفوذ الشريف حسين. [١٥]

هذا ما يقودنا إلى المحور الثاني الذي اعتمد عليه عبد العزيز لكسب الثقة البريطانية -بعد استثماره لعداوة بريطانيا للدولة العثمانية- وهو القبول الضمني دون نقاش بالهجرة اليهودية إلى فلسطين، لتصبح الأخيرة موطنا قوميا للصهاينة، وقد كانت هذه المسألة حسّاسة جدا لدى الإنجليز الذين كانوا يعتمدون على اليهود بشكل أساسيّ لفصل شرق العالم الإسلامي عن غربه، ولتثبيت نفوذ بريطانيا الاستعماري في قلب العالم الإسلامي، بل في قلب العالم كله.

ولأن الدولة العثمانية بقيادة السلطان عبد الحميد رفضت بيع الأراضي الفلسطينية لليهود، ولأن الشريف حسين ملك الحجاز رفض أيضا الاعتراف بفلسطين كوطن شرعيّ لليهود، لم يبق لبريطانيا إلا رجل واحد مخلص بالكامل، قد يقبل خريطة التقسيم الجديدة ولا يمانع استيطانَ اليهود في فلسطين، ويمكن الاعتماد عليه مستقبلا في حكم الجزيرة العربية، إنه الملك عبد العزيز بن سعود.

[١٥] لم نحصل على أي وثيقة تاريخية مُعتمدة تثبت قبول ابن سعود بوعد بلفور، وما ذكر هنا هو استنتاجنا بعد تحليل السياق التاريخي لهذه الحقبة والمسار السياسي لعبد العزيز وأبنائه مع القضية الفلسطينية، وهو رأي بعض المؤرخين السعوديين أمثال الدكتور المسعري.

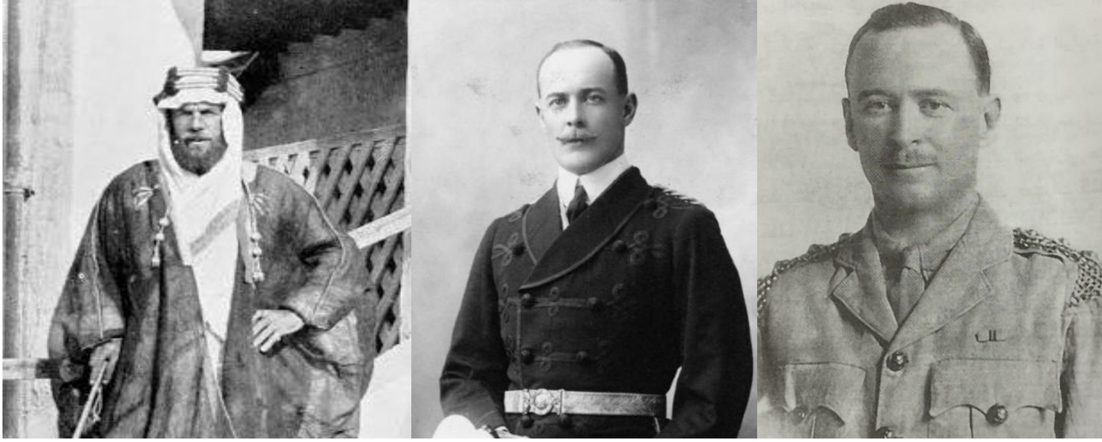
يغلب على ظننا أن عبد العزيز لم يباشر الزحفَ نحو الحجاز سنة ١٩٢٤ إلا بعد حصوله على الضوء الأخضر البريطاني أو على الأقل بعد تيقّنه بعدم جدية البريطانية في حماية الشريف حسين، وقد استطاع[١٦] السيطرة عليه بعد سنتين تقريبا من الحرب. ومباشرة بعد تحقيقه للنصر، قام ابن سعود بتوقيع معاهدة جدة مع بريطانيا سنة ١٩٢٧، وهي التي ألغت معاهدة دارين، واعترفت فيها الحكومة البريطانية بالاستقلال التام لمملكة الحجاز، التي عُرِفت فيما بعد بالمملكة العربية السعودية، وقد تعهد عبد العزيز بن سعود مقابل ذلك بما تضمنته معاهدة دارين القديمة، إضافة إلى تعهّده بالتزام الحدود الجديدة، ومنع جنوده من الإغارة على المحميات البريطانية الأخرى.

وخلال هذه التطورات المهمة، بداية من سيطرته على الأحساء، ثم حائل، ثم الحجاز، لم يكن عبد العزيز يتخذ القرارات الخطيرة بمفرده، بل رافقه عدد من المستشارين البريطانيين، ليكونوا عونا له في سياسة الدولة الناشئة بما يوافق المصالح البريطانية. كان وليام شكسبير من هؤلاء، وهو مبعوثٌ بريطاني مخصص لملازمة ومرافقة ابن سعود، كما أنه صديقٌ مقرّب منه، قُتل وهو يحارب معه خلال معارك حائل. ومن هؤلاء أيضا الجاسوس جون فيلبي الذي كُلف من قِبل الضابط بيرسي كوكس كمستشار ملازم لابن سعود، خلفا لشكسبير الراحل، وقد تظاهر الحاج فيلبي بالإسلام، وأطلق لحيته، حتى أنه

---

١٦ يعتقد بعض المحللين أن عبد العزيز قد قام بغزو الحجاز دون موافقة بريطانيا، ويستدل ببعض الوثائق التي تثبت رفض بريطانيا احتلال عبد العزيز للحجاز. لكن ردة فعل البريطانيين الإيجابية بعد ذلك والتي توجت بالاعتراف الكامل بعبد العزيز، تدل أن تصريحات الرفض التي صدرت من قبل بريطانيا في البداية لا تخرج عن إطار المراوغة السياسية التي يقصد منها الضغط على عبد العزيز لتقديم مزيد من التنازلات أو على الأقل لحفظ ماء الوجه أمام الشريف حسين وأتباعه. وإن كان البريطانيون جادون في الرفض لتدخلوا ميدانيا لمنع آل سعود من التمدد.

قام ذات جمعة خطيباً في الحرم المكي!! وأخذ يتحدث عن فضائل آل سعود، وعن أحقية نصرتهم في وجه الهاشميين وآل رشيد.



هارولد ريتشارد — وليام شكسبير — جون فيلبي

ومن الوثائق التي تذكر حقيقة خضوع ابن سعود للسياسة البريطانية، كتاب "الكويت وأخواتها" لمؤلفه هارولد ريتشارد، وقد كان معتَمدا بريطانيا في الكويت خلال تلك الحقبة. جاء فيه: "في اجتماع خاص ضم السير بيرسي كوكس وعبد العزيز بن سعود وأنا فقط، فقَد السير بيرسي كوكس صبره، واتهم عبد العزيز بن سعود بأنه تصرف تصرفا صبيانيا عند اقتراحه لفكرة الحدود العشائرية، ولم يكن السير بيرسي يجيد اللغة العربية فقمت أنا بالترجمة، وقد أدهشني أن أرى سيد نجد يُوبَّخ كتلميذ وقح، من قبل المندوب السامي البريطاني لحكومة صاحب الجلالة، الذي أبلغ عبد العزيز بن سعود بلهجة قاطعة أنه سيخطط الحدود بنفسه، بصرف النظر عن أي اعتبار، فانهار عبد العزيز وأخذ يتودد ويتوسل، معلنا أن السير بيرسي كوكس هو أبوه وهو أمه، وأنه هو الذي صنعه ورفعه من لا شيء إلى المكانة التي يحتلها، وأنه على استعداد لأن يتخلى عن نصف ما يملكه بل كله، إذا أمر السير بيرسي بذلك!!.

وذكر الضابط في نفس الكتاب: "وحوالي الساعة التاسعة من ذلك المساء حدثت مقابلة مدهشة فلقد طلب عبد العزيز بن سعود مواجهة السير بيرسي على حدة، وصحبني السير بيرسي معه فوجدنا ابن سعود واقفاً وحده وسط خيمة الاستقبال باديا عليه الاضطراب!! فبادر عبد العزيز بن سعود السير بيرسي قائلاً بصوت كئيب: يا صديقي لقد حرمتني من نصف مملكتي، الأفضل أن تأخذها كلها وتدعني أذهب للمنفى.

وظل ذلك الرجل القوي العظيم واقفاً رائعاً في حزنه وانفجر باكيا. وتأثر السير بيرسي كثيراً وأمسك بيد ابن سعود وأخذ يبكي هو الآخر والدموع تنحدر على وجنتيه."



بيرسي كوكس

إن الحقائق التاريخية لتثبت أن بيرسي كان فعلا بمثابة الأب والأم بالنسبة لعبد العزيز، وأنه من قام بصناعته، ولولا دعمه ومساعدته وتوجيهه لكان عبد العزيز في هامش التاريخ. هذا ما جعل اللورد كرزن وزير الخارجية البريطانية يرسل إلى بيرسي كوكس رسالة مؤرخة في ٢٢ يناير/كانون الثاني ١٩١٧ جاء فيها: "لقد قمتم بكل نُبل بالمهمة التي أوكلتها إليكم منذ ثمانية عشر عاما، لقد جعلتَ

من نفسك ملكا على الخليج، وعندما تنتهي الحرب فسوف نُعزّز تلك الجهود ونعمل على ألا يقوم أحد بانتزاع هذا التاج منكم" [١٧]

وإنصافا لعبد العزيز، فإن بريطانيا لم تقم بتمجيد مندوبها فحسب، بل قامت أيضا بتمجيد مجنَّده المخلص. حصل ذلك عندما أمرت الملكة إليزابيث بإنزال الأعلام إلى نصف السارية في جميع المباني الحكومية في بريطانيا عند وفاة ابن سعود تكريما له.

[١٧] بيرسي كوكس والسياسة البريطانية ص٥٢.

2. انتقال التبعية السعودية إلى الولايات المتحدة الأمريكية:

"هناك دول لن تبقى لأسبوع واحد دون حمايتنا، عليهم دفع ثمن ذلك"

دونالد ترامب - الثلاثاء ٢٤ نيسان ٢٠١٨

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وانتصار الحلفاء سنة ١٩٤٥، أفَل نجمُ الإمبراطورية البريطانية التي لم تكن تغرب الشمس عن مستعمراتها لسعة امتداد نفوذها في مشارق العالم ومغاربه. وفي الوقت الذي كان فيه النفوذ البريطاني يتراجع، كان نجم الولايات المتحدة الأمريكية يتألّق ويبرز. ومع تغير موازين القوى كان من المتوقع أيضا أن تتغير ولاءات من لا مبادئ له، ولأن عبد العزيز أصلا فعل كل شيء ليحصل على دعم دولي يديم حكمه وحكم أولاده من بعده، فقد بدأ ولاؤه يتوجّه إلى لاعب دولي أقوى وأقدر على حماية دولته من البريطانيين.

نال ابن سعود اعترافا كاملا ورسميا من قِبل أمريكا بدولته الجديدة في مايو سنة ١٩٣١، أي في نفس السنة تقريبا التي انتهى فيها من السيطرة على الحدود المرسومة له بعد اتفاقية سايكس بيكو ووعد بلفور، وفي نفس السنة أيضا التي أعلنته فيها بريطانيا ملكا على الكيان المسمى: "المملكة العربية السعودية".

بدأت العلاقات السعودية الأمريكية أول أمرها بشيء من الفتور، وكما كانت بريطانيا أول أمرها لا تُنزل عبد العزيز مقاما هاما في سياستها، كانت أمريكا أيضا لا تلقي اهتماما كبيرا بالعرش السعودي الجديد، وهو ما جعلها تتعامل مع عبد العزيز عن طريق سفيرها في مصر، ولا تنشط لتأسيس سفارة في السعودية. وفي ذلك الوقت، لم يكن هناك أي نوع من العلاقات بين أمريكا والدولة السعودية الثالثة إلا الاتفاقية التي وقعها عبد العزيز بنفسه سنة ١٩٣١،

والتي تمنح شركة "ستاندارد أويل أوف كاليفورنيا" الحق في البحث عن النفط في المنطقة الشرقية من البلاد. ومع ظهور فرصٍ إيجابية حول إيجاد النفط، بدأت الشركة نفسها بعمليات التنقيب سنة ١٩٣٣، وكان ذلك مقابل ٥٠% من الأرباح. والجدير بالذكر أن الشركة غيرت اسمها لتصبح "الشركة العربية الأمريكية أرامكو".[١٨]

انطلاقا من سيرة عبد العزيز، يتضح للقراء أن الرجل يعتمد في سياسته بشكل أساسي على استمالة القوى العظمى من أجل توفير الاعتراف والحماية، اتضح ذلك معنا خلال علاقته مع البريطانيين، وقد استطعنا إثباته بالوثائق الرسمية لأن تلك الحقبة أصبحت صفحة من التاريخ القديم، ولأن أحداثها عريقةٌ أخرج الإنجليز الوثائق السرية المتعلقة بها. المشكلة التي نواجهها في البحث أن العلاقة الأمريكية السعودية جديدة، ويصعب جدا الوصول إلى مصادرٍ موثوقة تكشف حقيقة الأحداث وتحسم الخلاف، وذلك بسبب التكتّم الشديد التي تحافظ عليه الولايات المتحدة الأمريكية من أجل حماية أهم حلفائها في الشرق الأوسط، وبسبب كفاح آل سعود المستمر في إخفاء الحقائق... غير أننا لا نستبعد أبدا أن عبد العزيز قد بذل جهدا كبيرا من أجل أن يحصل على هذه العلاقة، تماما

---

[١٨] مع الوقت، قام آل سعود بالدخول في ملكية الشركة، ففي سنة ١٩٥٩ انضم أول سعوديين إلى مجلس إدارة الشركة وهما: عبد الله الطريقي وحافظ وهبة، ثم في ١٩٧٣ خلال حرب أكتوبر استحوذت السعودية على حصة ٢٥ % من الأسهم، ثم بعد ١٩٧٤ أصبحت حصة آل سعود من الأسهم تفوق ٥٠ %، وهو ما مكنهم من تغيير اسم الشركة سنة ١٩٨٨ إلى شركة أرامكو السعودية.

الجدير بالذكر أن آل سعود بعد الثمانينيات شرعوا من خلال أرامكو في الاستحواذ أيضا على أغلبية الأسهم في باقي شركات النفط والغاز في الجزيرة، مثل شركة موتور أويل الأمريكية وشركة لوبريف وشركة بترولوب، وشركة سابك...الخ

كما ناضل للحصول على ثقة البريطانيين من قبل، ولا نظنه إلا قد تعهّد للأمريكان بما تعهد به للبريطانيين؛ القبول بتقسيم العالم الإسلامي، وإعطاء فلسطين لليهود... بل الظاهر من التاريخ المعاصر أنه قد زاد قُربةً أخرى تتعلق بالموارد النفطية التي أصبحت تُمثل ثلث احتياطي النفط في العالم.

منذ بداية استخراج النفط سنة ١٩٣٣ [١٩]، حرص عبد العزيز على كسب ثقة الأمريكيين، وقد نجح في ذلك تماما كنجاحه في استمالة الانجليز، وهو ما يَظهر جليا في التصريح الذي صدر عن روزفلت رئيس أمريكا، حيث قال سنة ١٩٤٣ بعد قصف الإيطاليين الموالين للنازية لمنشأة نفطية في الظهران: "إن الدفاع عن مملكة آل سعود أمرٌ أساسي للدفاع عن الولايات المتحدة". ولعلّ أهم العوامل التي وثّقت هذه العلاقة؛ هي تلك الزيارة الاستثنائية التي قام بها وفد سعودي رفيع، وقد حصلت هذه الزيارة أيضا سنة ١٩٤٣، أي في نفس السنة التي صدر فيها هذا التصريح الناري من سيد البيت الأبيض، وكان الوفد مبعوثا من قِبل عبد العزيز رسميا، ويضمّ أهمّ رجاله؛ ولَديه: الأمير فيصل والأمير خالد، وبعد هذا اللقاء الذي استطاع ابن سعود من خلاله كسب ثقة الأمريكيين -بعهود لا يعلمها أحد حتى الآن- تمّ افتتاح أول قنصلية أمريكية في الظهران سنة ١٩٤٤.

---

[١٩] تعد المملكة العربية السعودية أهمّ وأكبر دول العالم إنتاجاً للنفط، حيث تنتج المملكة ١٠ مليون برميل يومياً، كما تحتل المركز الأول بين دول العالم من ناحية الاحتياطي النفطي، فهي تمتلك ١٩ % من الاحتياطي العالمي، و١٢ % من الإنتاج العالمي، وأكثر من ٢٠ % من مبيعات البترول في السوق العالمية، كما تمتلك طاقة تكريرية تصل إلى أكثر من ثلاثة ملايين برميل يوميًا. وتعتبر المملكة أيضا رابع دولة في العالم تمتلك احتياطيات للغاز تقدر بحوالي ٢٨٣ تريليون قدم مكعب، كما أن إنتاجها من الغاز يصل إلى ٩,٩ مليارات قدم مكعب يوميا.

في ١٤ فبراير ١٩٤٥، نال الملك عبد العزيز أخيرا ما كان يصبو إليه، حيث جمعه مع روزفلت الرئيس الأمريكي -ولأول مرة- لقاءٌ شخصي مباشر على حاملة الطائرات الحربية الأمريكية "كوينسي"، وخلال هذا اللقاء تمّ وضعُ الحجر الأساس للعلاقات الأمريكية السعودية التي امتدت حتى يومنا هذا، وانتقلت فيه الحماية السعودية من الراعي البريطاني إلى الراعي الأمريكي، بعد أن انتقل ولاء آل سعود من الآباء الإنجليز إلى أبنائهم المهاجرين في القارة الأمريكية. والغالب أن ابن سعود قد تعهّد خلال لقائه مع روزفلت بمزيد من الالتزام بالاتفاقيات الدولية القديمة (تقسيم العالم الإسلامي / وطن قومي لليهود في فلسطين) وبفتح المجال الجوي السعودي للطائرات الأمريكية وتوسيع المنشآت النفطية التي تشرف عليها الشركات الأمريكية، كل ذلك مقابل حماية عبد العزيز وأبنائه وأحفاده من بعده. [٢٠]



قمة كوينسي: عبد العزيز آل سعود، يتحدث مع الرئيس الأمريكي فرانكلين روزفلت على سطح الطراد كوينسي في البحيرات المرة بمصر في طريق عودة الأخير من مؤتمر يالطا عام ١٩٤٥.

[٢٠] بعد هذا الاتفاق بثلاث سنوات فقط، تم إعلان استقلال دولة إسرائيل على أراضي فلسطين المحتلة.

منذ ذلك الوقت، بدأ الوجود الأمني والعسكري الأمريكي داخل الجزيرة العربية بالتزايد، خاصة مع بداية الحرب الباردة ضد السوفيات. وسنة ١٩٥١، في آخر أيام عبد العزيز[٢١]، تم إنشاء بعثة أمريكية دائمة للتدريب العسكري في السعودية، احتكرت خلالها أمريكا توفيرَ الأسلحة والخدمات الأمنية والتدريب العسكري للجيش السعودي، ثم بعدها بسنتين استلم سعود بن عبد العزيز الحكم في السعودية خلفا لأبيه المتوفى، واستمر حكمه إحدى عشرة سنة، استعان خلالها بالقوة العسكرية الجوية الأمريكية لوقف التمدد المصري في اليمن سنة ١٩٦٣. وقد كان الأخير يسعى إلى فكرة جديدة تقتضي تغيير نظام الحكم في السعودية من الملكية المطلقة إلى الملكية الدستورية، وهو ما يعني تحجيم دور العائلة المالكة وتحديد صلاحياتها في الدستور وإفساح المجال للمؤسسات واللجان الشعبية والبرلمانية لتأخذ دورا رياديا في قيادة الدولة والرقابة عليها، كما هو الحال في بريطانيا وبلجيكا والدانمارك والمغرب الأقصى، وهو ما أشعل ناقوس الخطر لدى معظم أفراد العائلة الحاكمة، ودفعَ أخوه الأمير فيصل إلى التجييش عليه إعلاميا وحشد طبقة العلماء ضد نظريته الدستورية، ثم خلعه بدعوى العجز الصحي والفساد المالي.



سعود بن عبد العزيز مع الرئيس الأمريكي أيزنهاور

---

٢١ توفي ابن سعود في ٩ نوفمبر ١٩٥٣.

في عام ١٩٦٤، استلم فيصل بن عبد العزيز الحكم لمدة ١١ سنة، استمر خلالها الولاء السعودي للبيت الأبيض، حيث التقى الملك فيصل بالرئيس لندون جونسون عام ١٩٦٦، أي بعد سنتين من توليه العرش، وقد طلب منه خلال هذا اللقاء مزيدا من المشاريع التنموية في السعودية. وفي عام ١٩٧١ التقى الملك فيصل الرئيس ريتشارد نيكسون في واشنطن، وتأسست بعدها لجنة الاقتصاد السعودية الأمريكية المشتركة، كما قام نيكسون بتقديم مساعدات عسكرية للجيش السعودي بلغت قيمتها ٣١٢ مليون دولار سنة ١٩٧٢.



الملك فيصل بن عبد العزيز مع الرئيس الأمريكي لندون جونسون.

وخلال حقبة الملك فيصل، حصلت بعض الأحداث الاستثنائية في العلاقات السعودية الأمريكية، إذ لم يسبق من قبل أن هدّد حاكم من آل سعود إحدى القوى الدولية، بعد أن اعتمد مؤسس الدولة الثالثة سياسة عنوانها "**بقاء السلطة المحلية للعائلة يعتمد على استمرار الحماية الدولية من قبل القوى العظمى**". قال فيصل في أكتوبر ١٩٧٣ : "إن الانحياز الأمريكي الكامل لإسرائيل ضد العرب يجعل من الصعب جدا بالنسبة لنا أن نواصل تزويد الولايات المتحدة بالنفط،

أو حتى أن نبقي على صداقتنا معها"، وقام في نفس الوقت بوقف تصدير النفط نحو أمريكا، مما تسبب للأخيرة بأزمة اقتصادية عظيمة.



صور حقيقية عن آثار الحظر النفطي على الواقع الأمريكي سنة ١٩٧٤

لا أحد يعرف ما هي الدوافع الحقيقية التي كان يريد فيصل تحقيقها من هذا الحظر، غير أن كثيرا من المحللين اعتبروا الملك فيصل مختلفا عن والده وإخوته، حيث استطاع ولأول مرة في تاريخ الدولة الثالثة أن يتخذ قرارات جريئة ضد مصالح الدول العظمى. لكن سرعان ما عادت السياسة القديمة تظهر على السطح، حيث أُلغي الحظر في مايو ١٩٧٤، دون أن تنسحب إسرائيل عن شبر واحد من الأراضي الفلسطينية، ودون حتى أن يخفّف الدعم الأمريكي المفتوح لليهود.

وبعد إلغاء الحظر بأشهر قليلة، قدّم فيصل للولايات المتحدة مزيدا من التعهدات الاقتصادية والعسكرية، حيث وقّع الجانبان سنة ١٩٧٥ على اتفاقات عسكرية بلغت قيمتها ملياري دولار تضمنت تزويد السعودية بـ ٦٠ طائرة مقاتلة. وقد كان هدف أمريكا الأساسي من هذه الصفقات هو:

1) تصريف الأسلحة القديمة بأسعار خيالية لتزويد الجيش الأمريكي بأسلحة أخرى جديدة ومتطورة.

2) تمويل الشركات الأمريكية لتصنيع الأسلحة بالأموال السعودية الطائلة، وتوفير مزيد من فرص العمل والوظائف للشعب الأمريكي.
3) ضمان مزيد من السيطرة على القرار السعودي، بعد احتكار التدريب والتسليح والتصنيع العسكري في الدولة.

كان جون بيركنز أحد أولئك الخبراء الأمريكيين الذين اتفقوا مع أمراء آل سعود على هذه الاتفاقات الاقتصادية سنة ١٩٧٤، وبحسب قوله فإن: "الحظر قد أسفر عن تغيرات سياسية شديدة الأهمية في دلالاتها، فقد أيقنت وول ستريت واشنطن أنه من غير الممكن التسامح مع مثل ذلك الحظر مرة أخرى. رفع الحظر مكانة السعودية كلاعب في عالم السياسة ودفع واشنطن لإدراك الأهمية الإستراتيجية للمملكة العربية السعودية على الاقتصاد الأمريكي.

وشجعت الولايات المتحدة (شركاتها الامبريالية) للبحث عن سبل لاستعادة الأموال المدفوعة، واستغلال واقع نقص الهياكل الإدارية والتأسيسية التي تمكن الحكومة السعودية من إدارة ثورتها الكبيرة إدارةً صحيحة.

أما بالنسبة للمملكة، فإن العائدات الإضافية التي حصلت عليها من ارتفاع سعر البترول كانت نعمة شبيهة بالنقمة، فقد امتلأت خزائن الدولة بمليارات الدولارات، فسافر أثرياء السعودية حول العالم والتحقوا بالمدارس والجامعات في أوروبا والولايات المتحدة، واشتروا سيارات فارهة وأثثوا منازلهم على الطرز الغربية. وحل شكل جديد من الانغماس الدنيوي بدلا عن المعتقدات المحافظة، وهذه النزعة الاستهلاكية كانت حلا لمنع تكرار أزمة البترول.

بعد انتهاء الحظر مباشرة، بدأت واشنطن بالتفاوض مع السعوديين، فعرضت عليهم مقايضة المساعدة التقنية والمعدات والتدريبات العسكرية وفرصة للنهوض

ببلدهم لتلتحق بركب القرن العشرين مقابل دولارات البترول، وأهم من ذلك مقابل ضمان (تبعية السعودية) وعدم تكرار الحظر أبدا. "[٢٢]

يقول بيركنز: "فهمتُ بالطبع أن الهدف الأساسي من وظيفتي ليس – كالمعتاد- أن نثقل كاهل هذا البلد بالديون التي لن يستطيع سدادها، بل الأحرى إيجاد طرق تضمن إعادة أكبر نسبة من الدولارات المدفوعة في البترول السعودي مرة أخرى إلى الولايات المتحدة. علينا في هذه العملية أن نجرّ المملكة إلى هذا الطريق وأن نجعل اقتصادها يزداد تشابكا وخضوعا لمصالحنا، وباستغلالنا لاقتصادها سيزداد تقليدها للأسلوب الغربي، وبناء عليه يزداد ميلها وتبعيّتها لنظامنا. إضافة إلى ذلك فإن النمو الاقتصادي سوف يتبع على الغالب نمو صناعة أخرى ألا وهي صناعة أمن الجزيرة العربية..

تحت غطاء هذه الخطة المتطورة تدريجيا، أرادت واشنطن أن يتعهد السعوديون بضمان إمدادهم بالبترول وأن تكون الأسعار في مستويات قد تتذبذب لكن في حدود مقبولة للولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها. فإذا هددت البلاد الأخرى مثل العراق أو إيران أو إندونيسيا أو فنزولا بمنع بيع البترول لنا، فإن المملكة ستزيد من إنتاجها لسد النقص... وفي المقابل ستمنح واشنطن المملكة صفقة مغرية؛ إذ أنها ستلتزم بدعمها سياسيا دعما لا نظير له، ودعمهم عسكريا عند الضرورة، وبذلك تؤمّن لآل سعود الاستمرار في الحكم.

ثم إن واشنطن قامت بفرض شرط آخر، وطالبت آل سعود أن يضعوا دخل البترول تحت يد الحكومة الأمريكية مقابل حماية أمنهم، بمعنى آخر ستنفق وزارة الخزانة الأمريكية الفوائد البنكية لتلك الأموال في بناء المملكة وفق العصر

٢٢ مقتطف من كتاب الاغتيال الاقتصادي لجون بيركنز – مع تصرف واختصار شديد.

الحديث. بكلمات أخرى، سيتعهد آل سعود للشركات الأمريكية بأرباح بيع البترول... وقد لخّص ذلك الصحفي السابق توماس ويمان في قوله:

"إن آل سعود قوم يسبحون في المال، وسيردون مئات الملايين من الدولارات إلى وزارة الخزينة الأمريكية، التي ستحتجز بدورها هذه الدولارات في البنوك لحين الحاجة إليها في دفع الرواتب للموظفين الأمريكيين، سيضمن هذا النظام تدوير الأموال السعودية للعمل في الاقتصاد الأمريكي"

كان هنري كيسنجر أول مبعوث لإقناع آل سعود بهذا، وقد كانت مهمته الأولى أن يذكّر العائلة المالكة بما حدث لجارتهم إيران عندما حاول محمد مصدق رئيس وزراء إيران[٢٣] طرد شركات البترول البريطانية، ثانيا أن يحدد خطة جذابة بحيث لا يستطيعون رفضها. وحين عاد المبعوث إلى واشنطن جلب معه رسالة أن رأس آل سعود قد استجابوا لطلبات الولايات المتحدة، غير أنهم طلبوا المساعدة في إقناع بقية أمراء العائلة المالكة. وفي عام ١٩٧٥، كلّفوني بالحوار مع أحد هؤلاء اللاعبين الأساسيين من أمراء آل سعود، ومنذ البداية أعلن الأمير (w) أنه يتوقع في أي وقت يزورني فيه في بوسطن أن يأنس برفقة امرأة من النوع الذي يفضله (الحسناوات الشقراوات)، وأنه يتوقع منها أن تقوم بدور أكثر من دور المرافقة... وقد لعب هذا دورا كبيرا في وضع أساس هذه الصفقة وإتمام المهمة." [٢٤]

---

٢٣ انتُخب محمد مصدق مرتين لرئاسة الوزراء سنة ١٩٥١، إلا أن المخابرات الأمريكية والبريطانية خلعتاه في عملية مشتركة أُطلق عليها اسم "عملية أجاكس". وقد كان قبل انتخابه محاميا ومؤلفا وبرلمانيا بارزا.

٢٤ انت مقتطف من كتاب الاغتيال الاقتصادي لجون بيركنز – مع تصرف واختصار شديد

وفي تلك الفترة ١٩٧٤ - ١٩٧٥، -بعد الزيارات المكوكية التي قام بها كيسنجر والخبراء الاقتصاديون الأمريكيون- وقّع آل سعود مع الولايات المتحدة الاتفاقية التاريخية في عمر الدولة السعودية الثالثة، والتي اقتضت أن يلتزم آل سعود بالشروط التالية:

- الاستمرار في تصدير النفط نحو الولايات المتحدة بالكميات والأسعار التي تحددها واشنطن، وهو ما سيجبر بقية الدول المصدرة للنفط أن تلتزم بالأسعار التي ترضي أمريكا.[٢٥]
- بقاء أموال النفط في البنوك الأمريكية لتقوم الأخيرة بالاستفادة من فوائدها.
- أحقية الشركات الأمريكية العسكرية والمدنية باستعمال أموال النفط هذه في تحديث السعودية بما يوافق الحضارة الأمريكية، وبما يوفّر آلاف فرص العمل للأمريكيين.
- **تعهّد آل سعود ببيع النفط بالدولار حصرا، مما سيبقي الأخير العملة الصعبة الأقوى في العالم، بعد أن بدأ بالترنح إبان انسحاب الرئيس نيكسون من اتفاقية بريتون وودز.**[٢٦]

---

[٢٥] خلال سنة ٢٠١٧ كانت أمريكا تستورد من السعودية ما يقارب ١٫٣ مليون برميل يوميا، أي أن السعودية الآن تقوم بتوفير قرابة الـ ٥٠ % من الاحتياجات النفطية الأمريكية، ولكن ترمب أواخر قد أعلن أواخر سنة ٢٠١٩ أن أمريكا أصبحت توفر اكتفائها النفطي ذاتيا ولم تعد تعتمد على صادرات دول الخليج بعد اليوم.

[٢٦] اتفاقية بريتون وودز: هي عبارة عن ميثاق دولي تم الاتفاق عليه بعد الحرب العالمية الثانية في الشهر السابع من سنة ١٩٤٤ تحت إشراف الأمم المتحدة وبحضور ٤٤ دولة، وقد نتج عن هذه الاتفاقية تأسيس صندوق النقد الدولي، وظهور نظام نقدي دولي جديد، يقتضي أن يصبح الدولار هو العملة الصعبة التي نتعامل بها جميع دول العالم، مقابل أن نتعهد أمريكا ألا تطبع

كل هذا مقابل أن تتعهد الولايات بحماية العائلة الحاكمة في السعودية عسكريا وأمنيا وسياسيا، وضمان بقاء ملوكها على عرش السلطة.

وقد استمر العمل بهذه الصفقة حتى يومنا هذا، ومع كل ملك جديد للسعودية كانت تزداد الاستثمارات العسكرية والمدنية في الدولة الثالثة، وفيما يلي نموذج عن ذلك:

- أصبحت المملكة عام ١٩٧٨ في مقدمة الدول المشترية للأسلحة الأمريكية، إذ بلغت وارداتها من الأسلحة في تلك السنة ٢٠٠ مليون دولار، كما أصبحت المملكة سنة ١٩٧٩ تحظى بحصة ٤٠% من مجموع قيمة المبيعات الأمريكية.

- شارك عبد الله بن عبد العزيز في مؤتمر قمة العشرين الاقتصادية العالمية والتي انعقدت في واشنطن العاصمة يوم ١٥ نوفمبر ٢٠٠٨، وقد أعلن فيها من خلالها رصد مبلغ ٤٠٠ مليار ريال لصالح الاقتصاد الأمريكي.

دولارا واحدا إلا ويوجد في خزينتها ما يقابله من الذهب. كان الهدف من هذا الاتفاق تسهيل التجارة الدولية وتذليل العقبات أمام حركة صرف العملات.

لم تدم الاتفاقية طويلا لأن الولايات المتحدة لم تلتزم بربط الدولار مع الذهب، وأعلن رئيسها نيكسون سنة ١٩٧١ إلغاء التحويل الدولي المباشر من الدولار إلى الذهب، متحججا أن قوة الدولار مستمّدةٌ من القوة الاقتصادية للولايات المتحدة الأمريكية وليس من قيمة الذهب.

وحتى تضمن أمريكا بقاء الدولار على رأس العملات الصعبة بعد انسحابها من اتفاقية بريتون وودز؛ قامت بالاتفاق مع آل سعود أكبر مصدر للنفط في العالم، ليتم بيع النفط السعودي بالدولار حصرا، وهو ما سيجبر الدول المستهلكة للنفط على الاستمرار في التعامل بالدولار.

- في تشرين الأول / أكتوبر ٢٠١٠، أحاطت وزارة الخارجية الأمريكية الكونغرس علما بنيتها إبرام أكبر صفقة تسليح في تاريخ الولايات المتحدة مع السعودية تبلغ قيمتها ٦٠ مليار دولار، من أجل تحديث نظامها الدفاعي. وتشمل هذه الصفقة شراء ٨٤ طائرة مقاتلة أف ١٥ جديدة، وتحديث ٧٠ أخرى من النوع نفسه، وشراء ٧٢ مروحية بلاك هوك، و٧٠ من مروحيات أباتشي، و٣٦ مروحية ليتل بيرد.

- وفي ديسمبر عام ٢٠١٣ وقعت السعودية صفقة مع الولايات المتحدة لشراء ١٥ ألف صاروخ من طراز ريثون المضاد للدبابات، في صفقة تقدر قيمتها بأكثر من مليار دولار، في وقت لم يتوقع فيه حدوث أي معارك برية على الأراضي السعودية.

- وهناك ادعاءات بأن السعودية حصلت على أسلحة أمريكية تقدر قيمتها بـ ٩٠ مليار دولار بين عامي ٢٠١٠ و٢٠١٤ وذلك وفقا لتقرير صادر عن الكونجرس الأمريكي. وتعتبر المملكة العربية السعودية من أكبر مستوردي السلاح على مستوى العالم، حيث عقدت في الفترة من ١٩٩٧ إلى ٢٠٠٠ اتفاقيات شراء سلاح بمقدار ٤،٩ مليار دولار. وفى الفترة من ٢٠٠١ إلى ٢٠٠٤ بلغت قيمة الاتفاقيات ٥،٦ مليار دولار.

- وفي آذار / مارس ٢٠١٥، أعلن الرئيس الأمريكي باراك أوباما أنه خول القوات الأمريكية بتزويد السعوديين بدعم استخباري ولوجستي في العملية العسكرية التي قاموا بشنها في اليمن مقابل مليارات الدولارات التي ستدفعها السعودية.

- وقد أفاد المركز العالمي لدعم السلام أن السعودية قد وقعت اتفاقات عسكرية مع الولايات المتحدة سنة ٢٠١٦ بمبالغ فاقت ٦٣ مليار دولار.

- وأثناء زيارة الرئيس الأمريكي دونالد ترامب للسعودية في ٢٠ أيار / مايو ٢٠١٧، تم عقد اتفاقات تجارية مع الشركات الأمريكية تجاوزت قيمتها ٣٥٠ مليار دولار.

- وفي الشهر الثامن من سنة ٢٠١٨، حسب إعلان الخارجية الأمريكية فإن الملك سلمان قد تكفل بدفع ١٠٠ مليون دولار للقوات الأمريكية من أجل بقائها في سوريا.



ثالثا: مكانة الدعوة الوهابيّة في الدولة السعودية الثالثة.

"لن نُضيّع ثلاثين سنة أخرى من حياتنا في التعامل مع أي أفكار متطرفة، سوف نُدمّرهم اليوم وفورا".

(محمد بن سلمان، ٢٤ أكتوبر/تشرين الأول ٢٠١٧ م)

للوصول إلى طبيعة المسار السياسي لآل سعود في الدولة الثالثة، أهو ديني أم مصلحي؟ علينا أولا أن نحقّق في صدق تبنّي عبد العزيز وأولاده من بعده للدعوة الوهابية، الدعوة التي تحمل في طياتها مذهبا سلفيا فريدا، وموروثا فقهيا وعقديا غنيا. هل فعلا كان ابن سعود مؤمنا بالمذهب الوهابي؟ أم أنه اتخذه فقط أداةً سياسية، تماما كما كان يصنع أغلب الملوك على مر التاريخ؟

لن نتمكن من الوصول إلى الحقيقة بمجرد التخمين، لابد من مراقبة تاريخ هذه الأسرة، وتطبيقاتها العملية على الأرض، وأول ما يمكننا أن نبدأ به، هو تشكيل عبد العزيز بن سعود لأول تنظيم ديني وهابي.

عند انطلاقه، قام عبد العزيز بتجميع قبائل البدو وتشجيعهم على الهجرة، ثم وفّر لهم الوطن (المهجر) قريبا من الرياض، وفي سنة ١٩١١، قام بتشكيل جيشٍ كبير من الرجال الأشداء الملتزمين دينيا، أطلق عليه اسم: "إخوان من أطاع الله"، ولم يكن ليحشد هذا الجيش الديني لولا إظهاره الولاء للدعوة الوهابية. إلا أنه عندما أتم استخدامهم، وعندما وصل إلى الحدود التي اتفق عليها مع الانجليز، وبمساعدة من الطيران الحربي البريطاني، والتسليح البريطاني، والاستخبارات البريطانية، قام بتصفية الإخوان في واقعة "السبلة المشهورة" وقتل أهمّ قادتهم.


مقاتلو إخوان من أطاع الله

بحسب ما ذكره الضابط البريطاني هارولد ديكسون في كتابه الكويت وجاراتها، وقد كان ممن يقابل ابن سعود في تلك الحقبة: "لقد فهم عامةُ الإخوان أن ابن سعود أطلق صرخة الدين سنة ١٩١٤م لأغراضه الخاصّة، ولذلك شعروا بالألم والندم لأنهم استُخدموا كمطية، فلم تعد لديهم رغبة في الولاء أو في الاندفاع، ولم يعد الملك (عبد العزيز) بالنسبة لهم بطلا أو أبا لشعبه.. وقد طلب ابن سعود مساعدة البريطانيين، وبمساعدتهم تمكن من سحق رعاياه المسلمين". غير أن فهمهم هذا كان متأخرا جدا، فهم لم يعرفوا الحقيقة إلا بعد أن قاموا بتحرير الأرض التي كان ابن سعود يسعى إلى تحريرها، وبعد أن وصل عبد العزيز إلى مبتغاه وسيطر على الحدود التي أمره البريطانيون بالسيطرة عليها، لم يعد يحتاج "إخوان من أطاع الله"، واضطرّ أن يقضي عليهم بعد أن انتهى عملهم، ولقد فعل ذلك باحترافية بعد أن استطاع إقناع الرأي العام أن الإخوان أصبحوا خوارجا، وهم يستحقون ما سيحل بهم.

ثم إن الدعوة الوهابية كانت أبعد ما تكون عن الاستعانة بالكفار وتقريبهم، أما عبد العزيز فقد كان حاله مخالفا لهذا تماما، لقد كان لا يعقد أمرا أو يعلن حربا إلا بمشاورة البريطانيين ومباركتهم. ليس هذا فحسب، بل إنه على الأغلب لم

يغادر الكويت نحو الرياض إلا بعد التشجيع البريطاني، ولم يكن يخلُ مجلسه بعد ذلك من المستشارين الإنجليز. وقد مر معنا خلال الفقرات السابقة بالتفصيل كيف كان عبد العزيز مؤسس الدولة السعودية وأولاده منفّذين للسياسات البريطانية، ثم الأمريكية.

نفهم من هذا أن عبد العزيز استطاع بحنكته خداع الرجال الوهابيين واستخدامهم لمرحلة ما، ثم بعد انتهاء هذه المرحلة قام بالقضاء عليهم. وهذا هو -بنظرنا- السبب الحقيقي لدعمه الدعوة الوهابية منذ البداية، ولعل سياسة أحفاده اليوم، تثبت كيف أن الأسرة الحاكمة قد اتخذت الوهابية جسرا للمرور نحو العرش، ثم بعد اجتيازه شرعت في تفكيك هذا الجسر وتحطيمه، واستبداله بالقيم والعادات الأمريكية. وأبرز ما يمكننا الاستدلال به لكشف هذه السياسية:

- تفكيكُ "هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" التي تم تأسيسها سنة ١٩٤٠، وتحجيم صلاحياتها بمرسوم ٢٠١٦ الذي يقتضي حصر دور رجال الحسبة على الرقابة والتبليغ فقط، دون أي سلطة قضائية، ودون أي صلاحية للتدخل ميدانيا في تغيير المنكرات. بل إن نقاشا كبيرا يحصل الآن بين آل سعود حول إلغاء الهيئة بالكلية.

- فتحُ المجال لصلاحيات "هيئة الترفيه" التي قام ولي العهد محمد بن سلمان بتأسيسها في مايو ٢٠١٦ تماشيا مع رؤيته ٢٠٣٠ لتحديث السعودية. قامت هذه الهيئة ببعث المئات من الأنشطة الترفيهية التي أصبحت فيما بعد بابا لنشر الأفكار العلمانية، ونافذةً لاختلاط الرجال مع النساء دون أي ضابط، واستقدام المغنيين والموسيقيين من مختلف أنحاء العالم الغربي والعربي، ولتصبح فعالياتها محفلا للتبرّج والرّقص والغناء والطّرب والتمرد على كل

العادات السعودية والأحكام الإسلامية التي كان المؤسس ابن سعود يدّعي القتال من أجلها يوما ما.

- تأسيس مركز اعتدال في ٢١ مايو/أيار ٢٠١٧؛ "المركز العالمي لمكافحة الفكر المتطرف"، وكان ذلك عقب قمّة الرياض التي حضرها الرئيس الأميركي دونالد ترمب، وقد تعهد آل سعود من خلال هذا المركز بتغيير المناهج الدراسية لتصبح أكثر موافقة وتماشيا مع الغرب، ومراقبة الخطباء والخطب لتصبح أكثر تسامحا وتقاربا مع الحضارة الأمريكية. وبحسب ما جاء في شهادة وزير الخارجية الأميركي السابق ريكس تيلرسون خلال استجوابه أمام الكونغرس، فإن "الكتب الجديدة المعدلة ستحل محل الكتب الدراسية الموجودة هناك اليوم، والتي كانت تروّج للفكر الوهابي المتطرف، والذي يبرر العنف، وقد طالبناهم ليس فقط بنشر الكتب المدرسية الجديدة، ولكن بسحب الكتب القديمة، وكذلك كيفية تدريب الأئمة الشباب بمراكز التعليم الإسلامية، ونحن نعمل معهم اليوم على تأسيس هذا المركز الجديد، بما في ذلك المعايير التي سنحاسبهم عليها، وهذه إحدى المهام التي تعمل فيها وزارة الخارجية الأميركية مع السعودية".

- اعتقالُ العلماء والدعاة الوهابيين المعارضين، وزجّهم في السجون دون أي محاكمة، وقد كشف حساب معتقلي الرأي أن عدد من اعتقل في السعودية بسبب أفكاره المعارضة قد وصل إلى ٦١٣ معتقلاً، من أشهرهم عبد العزيز الطريفي وسلمان العودة وسفر الحوالي وعلي العمري والقارئ إدريس بكر...الخ. فيما ذكر بعض الناشطين أن هذا الرقم فقط لمن اعتُقل بين سبتمبر ٢٠١٧ وسبتمبر ٢٠١٨، أما عدد معتقلي الرأي الإجمالي فيبلغ عدة آلاف، بعضهم لا يزال معتقلاً منذ عهد الملك فهد. وقد طالبت بعض

المُنظمات الدولية كمنظمة هيومن رايتس ووتش ومنظمة العفو الدولية بالإفراج عن المعتقلين فوراً.

معتقلي الرأي
PRISONERS
OF CONSCIENCE

قائمة محدثة بأسماء المعتقلين
من 2017/9/9 إلى 2018/9/9

1- د.سلمان العودة
2- د.عوض القرني
3- د.علي العمري
4- د.عبد المحسن الأحمد
5- عصام الزامل
6- عبد الله المالكي
7- د. خالد العودة
8- د.عبد العزيز العبد اللطيف
9- د.محمد موسى الشريف
10- د.فهد السنيدي
11- يوسف الملحم
12- د. إبراهيم الناصر
13- د. إبراهيم الفارس
14- د.يوسف الأحمد
15- د.محمد الهبدان
16- الشيخ غرم البيشي
17- د.محمد بن عبد العزيز الخضيري
18- د.إبراهيم الحارثي
19- د.عادل باناعمة
20- د.علي بادحدح
21- الشيخ محمد الشنار
22- خالد المهاوش
23- وليد الهويريني
24- الشيخ حمود بن علي العمري
25- د. إبراهيم هائل اليماني
26- الشيخ محمد صالح المنجد
27- موسى الغنامي
28- أحمد الراشد
29- الشيخ سعود بن غصن
30- مناور النوب العبدلي
31- صنهات العتيبي
32- د.عبد العزيز الزهراني
33- عبداللطيف الحسين
34- يوسف احمد القاسم
35- د. يوسف المهوس
36- د. علي حميد الجهني
37- مساعد بن حمد الكثيري
38- المنشد ربيع الحافظ
39- المغرد البناخي
40- سامي الثبيتي
41- زايد محمد البناوي
42- خالد العلكمي
43- د. خالد العجيمي
44- د.رقية المحارب
45- د.علي أبو الحسن
46- أحمد الصويان
47- الفنان عبدالعزيز المهدي
48- الشيخ بدر بن علي العتيبي
49- د. سالم الديني
50- الشيخ سامي الغيهب
51- الشيخ سعيد بن فروة
52- تركي الدوسري
53- عباس حسن المالكي
54- د.مالك الأحمد
55- صالح الشيحي
56- الشيخ جمال الناجم
57- د.مبارك بن زعير
58- د. سعد بن مطر العتيبي
59- د. محمد بن سعود البشر
60- الناشطة عايشة المرزوق
61- د. رزين الرزين
62- د. حبيب بن معلا
63- فواز الغسلان
64- عبد الرحمن اللحياني
65- جميل فارسي
66- د. سامي الماجد
67- الشيخ أحمد باطهف
68- د. محمد البراك
69- عايدة الغامدي
70- عادل الغامدي
71- تركي الجاسر
72- د. إبراهيم المديميغ
73- د. محمد الربيعة
74- لجين الهذلول
75- إيمان النفجان
76- عزيزة اليوسف
77- محمد البجادي
78- نوف عبدالعزيز
79- مياء الزهراني
80- هتون أجواد الفاسي
81- عمر السعيد
82- خالد العمير
83- سفر الحوالي
84- عبدالله الحوالي
85- عبدالرحمن الحوالي
86- عبدالرحيم الحوالي
87- إبراهيم الحوالي
88- سعدالله الحوالي
89- علي بن سعيد الحجاج
90- محمد الدهاس العتيبي
91- د. عبدالعزيز الفوزان
92- سمر بدوي
93- نسيمة السادة
94- أمل الحربي
95- ياسر العياف
96- الشيخ ممدوح الحربي
97- الشيخ ناصر العمر
98- د. أحمد العماري
99- الشيخ علي بن عبار الزعل
100- الشيخ صالح آل طالب
101- أحمد الحوالي
102- برجس البرجس
103- عبدالمجيد عبدالعزيز الزهراني
104- أحمد عبدالعزيز الزهراني

1 سنة
على اعتقالات
سبتمبر

@m3takl معتقلي الرأي

- إنشاء القنوات الفضائية المختصة في نقل القيم الغربية نحو العالم الإسلامي، عبر عرض الأفلام والبرامج الأمريكية (هوليود) والأفلام العربية والهندية بشكل يومي، ومن خلال تصدير الفنانين والممثلين والمغنين ليصبح كل هؤلاء رموزا لشباب العالم الإسلامي، وقد أصبح من المعروف اليوم أن الأمير وليد بن طلال بن عبد العزيز هو من يشرف ويدعم قنوات روتانا، وأن وليد الإبراهيم أخو زوجة الملك فهد هو مالك ومؤسس شبكة الإم بي سي.

- انتشارُ البذخ والفساد المالي بما ينافي قيم الدعوة الوهابية التي تدعو إلى الزهد والتعفف، وبحسب التقرير الذي نشرته شبكة " السي إن بي سي" الأمريكية أن "صافي الثروة التي يملكها أمراء آل سعود تقدر بـ ١,٣ تريليون دولار، بمعدل يجعلها أغنى الأسر في العالم"، وبحسب نفس التقرير فإن "أفراد الأسرة المالكة في السعودية يُنفقون هذه الثروة ببذخ على مظاهر الترف الحياتية، مثل شراء الطائرات الخاصة واليخوت الفخمة والقصور الفارهة واللوحات الفنية باذخة الثمن" وامتهان القمار في أفخم الكازينوهات العالمية وممارسة الجنس، وشراء أفلام الدعارة المصممة خصيصا لرغباتهم. وبحسب بلومبيرغ فإن ثروة الأمير الوليد بن طلال لوحده قد قاربت الـ ٢٠ مليار دولار، كما صرحت مجلة "فوربس" الاقتصادية الأمريكية أن ثروة الملك عبد الله بن عبد العزيز قد فاقت الـ ١٨ مليار دولار.



صنداي تلغراف: قصر ابن سلمان بالريف الفرنسي الأغلى بالعالم



يخت الملك محمد بن سلمان، والذي بلغت قيمته حوالى ٥٥٠ مليون دولار

رابعا: الدولة السعودية الثالثة وحركات الصحوة في العالم الإسلامي.

"لولا السعودية لكانت إسرائيل في ورطة كبيرة، ماذا تريدون (بطعنكم في محمد بن سلمان)!! أتريدون أن ترحل إسرائيل؟ "

تصريح إعلامي لدونالد ترامب، الخميس ٢٢ / ١١ / ٢٠١٨

من الأمور التي يجب معرفتها: أن دولة اليهود والدولة السعودية نشأتا في نفس الوقت (بداية القرن العشرين)، وأنهما أُسِّستا بداية تحت مظلة بريطانيا، ثم انتقلت كلتاهما إلى مظلة أمريكا في نفس الحقبة أيضا (أواسط القرن العشرين). وقد رفضت الدولة العثمانية كلا من المشروع السعودي واليهودي، واعتبرت كلا المشروعين خطةً لهدم آخر دول الإسلام وتفكيكه وتثبيت الاحتلال الغربي في العالم الإسلامي، ولم يتمكن آل سعود ولا الصهاينة من النهوض إلا بعد سقوط الدولة العثمانية، وقد تشارك كلاهما العداء للعثمانيين بل كان هذا أولى الأولويات لكلا الدولتين الناشئتين.

من التشابه الشديد بين المشروعين أن كليهما قد كان يقف دائما ضد الحركات المعارضة للنفوذ الغربي، سواء كانت هذه الحركات جهادية أو سياسية أو دعوية، والظاهر من خلال المسيرة التاريخية لكلا الكيانين؛ **أن بريطانيا ثم أمريكا قد رسمت دورا سياسيا وثقافيا للدولة السعودية، بينما أحالت الدور العسكري والأمني إلى إسرائيل**، وكلما قام أحد منهما بدوره على أكمل وجه، كلما تعهدت القوى الغربية بإبقاء سلطته وحماية عرشه أكثر فأكثر.

1. آل سعود والحركات الإسلامية المسلحة:

"زعزعة استقرار المملكة العربية السعودية يزعزع العالم"

رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو – لقاء صحفي في ١٢ / ١٢ / ٢٠١٨

لو نظرنا إلى الحكومة السعودية من حيث موقفها تجاه المحيط الإسلامي، فإنها تعتبر تقريبا كل الحركات الجهادية كيانات إرهابية، وتقوم عمليا بقمعها في الجزيرة العربية وفي خارجها. ولم تشهد هذه السياسة شذوذا إلا في الجهاد الأفغاني الأول الذي بدأ منذ سنة ١٩٨٠، ويعود الفضل في ذلك إلى السياسة الأمريكية التي وجّهت آل سعود نحو فتح مجال المشاركة للصحوة الإسلامية في استنزاف الاتحاد السوفياتي الخصم اللدود للولايات المتحدة في ذلك الوقت.

وقد شارك آل سعود طيلة العقود الماضية -ماليا وسياسيا وأمنيا وعسكريا- في محاربة التنظيمات الجهادية في الجزيرة العربية ووسط آسيا والعراق والمغرب الإسلامي، وساهمت أيضا في التضييق على المقاومة الفلسطينية الإسلامية المتمثلة في حماس، بل إنها دعمت الولايات المتحدة في حربها على الحركة الجهادية الأفغانية (الطالبان). وهو ما دفع الرئيس ترامب أن يقول في بيان صدر له بتاريخ ١٩ نوفمبر ٢٠١٨:"إن السعودية حليف موثوق... وهي تنفق الآن المليارات في الحرب على الإرهاب الإسلامي المتطرف"

ورغم مخالفتها العلنية لاحتلال العراق، لم تمنع السعودية أجواءها وأرضها عن الطائرات والقوات الأمريكية التي كانت تستخدم الجزيرة العربية كمنطلق أساسي لقصف العراق واجتياحه. وبعد سقوط صدام وتشكيل الأمريكان للحكومة الجديدة، لم تُبد السعودية أي رفض للسلطة الجديدة، بل كانت أول المعترفين بها.

أما المقاومة الفلسطينية المسلحة، فقد كان آل سعود يظهرون التعاطف معها بينما تصب سياستهم العملية نحو الاعتراف التدريجي بإسرائيل وتمكينها من المنطقة، ففي عام (١٩٣٦) قامت الثورة الكبرى التي أشعلها عز الدين القسام في فلسطين ضد المستوطنين اليهود، وعجزت بريطانيا عن إخماد الثورة، فكان دور الملك عبد العزيز حاضرا لتحقيق ذلك، إذ أرسل ولده ووزير خارجيته (فيصل) ليقوم بالتفاوض مع زعماء ثورة (١٩٣٦)، ويقنعهم بالتهدئة بعد أن كفل لهم وفاء (صديقتنا بريطانيا) على حد وصفه، فأوقفت الثورة ثم أخمدت، وكان ذلك أول خطوات ضياع القدس .

ثم قامت الجيوش العربية السبعة ببعض الانسحابات لتقوم على إثر تلك الهزائم دولةُ إسرائيل سنة (١٩٤٨)، ولتسيطر هذه الدولة على أكثر أرض فلسطين، وليضيع معها النصف الغربي للقدس. وفي سياق شبيه بما سبق، تم لإسرائيل سنة (١٩٦٧) احتلال القدس الشرقية وفيها مسجد الصخرة والمسجد الأقصى ضمن ما احتلته من الضفة الغربية وأجزاء من سوريا ومصر والأردن.

ثم تتالت الفصول لتمر بمحطة مؤتمر مدريد للسلام سنة (١٩٩١) من أجل التطبيع مع اليهود حيث شاركت فيه السعودية، وتكفلت بنفقاته، وتولى الأمير السعودي بندر بن سلطان بنفسه جمع الأطراف المختلفة فيه، كما دعمت أيضا مؤتمر أوسلو (١٩٩٢)، وصدرت الفتاوى التاريخية من قبل هيئة كبار العلماء لتبيح الهدن المطلقة مع الصهاينة وتستدل على ذلك بالآيات والأحاديث النبوية،

هذا بعد أن كانت نفس الهيئة قد أفتت بإباحة دخول جيوش الأوربيين والأمريكان لجزيرة العرب بدعوى ضرورة مواجهة خطر صدام حسين! [٢٧]

ثم تابع قطار الكوارث مسيره ليصل إلى مبادرة الأمير (عبد الله بن عبد العزيز) أواسط عام (٢٠٠٢)، والتي عرض الأخير من خلالها التطبيعَ الكامل مع اليهود والاعتراف بإسرائيل مقابل إعادة ما احتلته سنة (١٩٦٧) متنازلا عن باقي فلسطين! ولينعقد مؤتمر القمة العربي الذي حول مبادرة الأمير عبد الله إلى مشروع عربي، كان الغرض منه إجهاض الانتفاضة التي انطلقت بعنف وقوة في رجب (١٤٢٣هـ) أي قبل المبادرة بسنة، وقام (سعود الفيصل) وزير خارجية السعودية بتسويق المبادرة عربيا وعالميا ليكمل ما قام به أبوه وعمه وجده من قبل..

الجدير بالذكر أن إسرائيل قد وافقت على نصف المبادرة (التطبيع والاعتراف) ورفضت نصفها الآخر (الانسحاب مما احتلته سنة ١٩٦٧)، وتوّجت ذلك بالإطاحة بالسلطة الفلسطينية، وإعادة احتلال ما خولتها إياه من الضفة الغربية وقطاع غزة، وصعّدت مجازرها في الفلسطينيين منذ ذلك الحين. [٢٨]

وقد ذكر الباحث صالح النعامي أن "مجابهة القضية الفلسطينية مجال للشراكة بين إسرائيل والسعودية، وذلك في أمرين: أولهما، تقليص تطلعات الفلسطينيين في استرداد أرضهم المسلوبة، والأمر الثاني هو شيطنة المقاومة الفلسطينية بقول ابن

---

[٢٧] لا يفوتنا أن نذكر الدعم السخي الذي كانت تحظى به المقاومة الفلسطينية في عهد الملك فهد وولي عهده عبد الله، لعل ذلك يعود بالأساس إلى طموح آل سعود في السيطرة على قرار المقاومة وقيادته نحو اتفاق أوسلو الذي تم توقيعه في تلك الحقبة.

[٢٨] من كتاب المقاومة الإسلامية العالمية لأبي مصعب السوري بتصرف واختصار شديد.

سلمان: إن حركة حماس تمثل تهديداً للأمن القومي السعودي، رغم عدم مهاجمة حماس قط للرياض".

وفي المقابلة التي أجراها مع "ذي أتلانتيك" قال محمد بن سلمان: "أعتقد أن الفلسطينيين والإسرائيليين لهم الحق في امتلاك أرضهم الخاصة، كما أن بلدنا ليس لديه مشكلة مع اليهود". وفي سبتمبر ٢٠١٧، بحسب الإذاعة الإسرائيلية العربية، قام الأخير بزيارة سِريّة إلى تل أبيب، وقد أكد أيضا الصحفي أرييل كاهانا هذه الزيارة، في ظل انعدام أي نفي رسمي من قبل الحكومة السعودية.

وقد كشف رئيس أركان الجيش الصهيوني "غادي ايزنكوت" عن لقاء جمع محمد بن سلمان مع رئيس مجلس الأمن القومي الصهيوني مئيربن شبات في إطار المصالح والتعاون المشترك بين الجانبين، وأكد غادي أن السعودية لم تكن في يوم من الأيام عدوا لإسرائيل.

ونشر موقع "24news" في تصريح لرئيس مجلس الأمن القومي السابق في إسرائيل، الجنرال المتقاعد يعقوب عميدور، "أن الأمير تركي الفيصل قال: إنه مع الأموال العربية والعقل الإسرائيلي يمكننا أن نغير الشرق الأوسط تماماً إلى الأفضل".

وبحسب وايزمن مؤسسُ دولة اليهود فإن "البريطانيين وآل سعود والأمريكيين قد تعاونوا على دعمنا بأشياء أعلنت، وأشياء أهمها لم يعلن"، وهو ما يعني أن الجزء الأكبر والأهم من الاتفاقيات التي جمعت آل سعود ودولة الصهاينة من نشأتهما وحتى الآن لم يظهر بعد إلى العلن.

ولم يقتصر آل سعود على حرب الجهاديين وحصار المقاومة الفلسطينية فحسب، بل كان لهم دور سلبي جدا تجاه حركة الطالبان الأفغانية، فقد احتضنت جدة

في يوليو ٢٠١٨ مؤتمرا عالميا جمع فريقا من العلماء المحسوبين على آل سعود والحكومة الأفغانية التابعة للاحتلال الأمريكي، والذي اعتبر أن الطالبان إرهابية ولا تمثل الإسلام، وأن أعمالها ليست جهادا في سبيل الله بل إجراما في حق الشعب وقتلا للمدنيين، وهو ما رفضته طالبان في تصريح رسمي معلن.

كما تجاوزت سياسة آل سعود المناهضة للحركات الجهادية أفغانستان لتصل إلى تركستان الشرقية المحتلة من قبل الصين منذ سنة ١٧٦٠، ففي زيارة أجراها محمد بن سلمان للصين بتاريخ ٢٤ / ٠٢ / ٢٠١٩، أعلن الأخير تضامنه مع بكّين ضد الحركات التحررية التي يقودها شعب الأيغور المسلم، وأكد في تصريح إعلامي له خلال الزيارة أن الحكومة السعودية تدعم السياسة الصينية في مكافحة الإرهاب. في الوقت الذي أدان كل المجتمع الدولي هذه السياسة واعتبرها تصب في عملية إبادة جماعية لشعب تركستان.



وتماما كما كان للسياسات السعودية أثرها في أقصى الشرق الإسلامي، كان لها أثرها أيضا في أقصى المغرب، حيث تواجه فرنسا حركة ثورية شديدة ضد نفوذها في مستعمراتها الإفريقية العريقة. ففي القمة التي عقدها الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون بتاريخ ١٣ ديسمبر ٢٠١٧ لمكافحة ما يسميه الإرهاب في دول الساحل الإفريقي، والتي استضاف فيها العديد من مندوبي رؤساء العرب؛ أعلنت السعودية مساهمتها بـ ١٠٠ مليون دولار، بينما أعلنت الإمارات تبرعها أيضا بـ ٣٠ مليون دولار... كل هذا من أجل أن تستطيع فرنسا الحفاظ على نفوذها شمال إفريقيا وكبح التيارات الإسلامية الصاعدة في دولة مالي خاصة.

2. آل سعود والحركات الإسلامية السلميّة:

"الإخوان المسلمون ذئاب.. وشياطين.. وزنادقة.. "

عبد اللطيف آل الشيخ - وزير الدعوة والإرشاد السعودي

منذ تأسيسها في مصر على يد حسن البنا في العقد الثاني من القرن العشرين، حرصت حركة الإخوان المسلمين على إقامة علاقة ودية مع آل سعود، كما وجد أيضا ملوك السعودية الأوائل في الإخوان حليفا جيدا لمواجهة التمدد الناصري القوي الذي أصبح يشكل خطرا على العرش السعودي. وقد وصلت متانة تلك العلاقة بالأمير فيصل ليصرح عن الإخوان قائلا: هم "أبطال جاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم"، كما سُئلت اللجنة الدائمة للإفتاء في السعودية عن الإخوان فقالت عنها: "أقرب الجماعات الإسلامية إلى الحق وأحرصها على تطبيقه: أهل السنة والجماعة، وهم أهل الحديث، وجماعة أنصار السنة، ثم الإخوان المسلمون" [٢٩]

وبعد انقضاء الموجة القومية وسقوط الاتحاد السوفيتي، لم يعد آل سعود يجدون فائدة في مواصلة التحالف مع الإخوان، **خاصة أنهم قد أصبحوا مشروعا سنيا يهدد المنزلة التي أرادها حكام السعودية لأنفسهم بين السنة في العالم الإسلامي،** وخاصة أنهم لم يقبلوا بإضفاء الشرعية على دعم آل سعود للقوات الأمريكية أثناء وبعد حرب الخليج، وهو ما جعل المملكة بعد سنة ٢٠٠١ تشن حملة دعائية وأمنية على الحركة، ليصل الأمر بوزير الخارجية السعودي الأمير نايف بن عبد العزيز أن يصف الإخوان سنة ٢٠٠٢ أنهم "أصل البلاء"، وأنهم سبب المشاكل التي تصيب العالم العربي والإسلامي. وليعود بعض أعضاء هيئة كبار

---

[٢٩] الموقع الرسمي للجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء – الفتوى رقم ٦٢٥٠

العلماء ليقول عمن وصفتهم سابقا بأقرب الناس إلى الحق أنهم "خوارج حزبيون، مناهجهم فاسدة، ولا يهتمون بالعقيدة الصحيحة".

وقد وصل هذا العداء إلى ذروته بعد الثورات العربية (٢٠١١) التي وسّعت نفوذ الإخوان وجعلتهم يشكلون مزيدا من التهديدات ضد النفوذ السعودي في العالم الإسلام. وهو ما جعل آل سعود وحلفاءهم من دول الخليج يصنِّفون الحركة ورموزها رسميا ضمن قوائم الإرهاب في مارس ٢٠١٤، ويحاصرون الدولة التي تساهم نوعا ما في مساعدتهم وإيوائهم (قطر)، ويقومون بإعادة صياغة جميع المناهج التعليمية والكتب الدراسية بما يضمن محو أي أثر لفكر الإخوان، كما جاء في تصريح أحمد بن محمد العيسى وزير التعليم السعودي: "إن السعودية تعيد صياغة مناهجها التعليمية لمحو أي تأثير لجماعة الإخوان المسلمين، وذلك التزاما بالوعود التي قطعها ولي العهد محمد بن سلمان لنظيره الأمريكي"؛[٣٠] كما أشار أنه سيتم استبعاد أي عنصر متعاطف مع الحركة من أي منصب في القطاع التعليمي.

وبالتوازي مع حصارها، عمل آل سعود على دعم أعداء الحركة وخصومها، وهو ما اتضح جليا في مصر وتونس خلال وبعد الربيع العربي، فلم يكن أبدا حكام السعودية مسرورين تجاه الاضطرابات الشعبية التي تشهدها تلك البلدان، وقد دعموا حسني مبارك وبن علي حتى آخر لحظة، كما وفروا للأخير ملاذا آمنا في السعودية بعد فراره من تونس مصحوبا بملايين الدولارات التي سرقها من قوت الشعب التونسي. ثم كان آل سعود أول من اعترف بانقلاب يوليو ٢٠١٣،

٣٠ بيان رسمي معلن على الوكالات الإخبارية يوم الثلاثاء ٢١/٠٣/ ٢٠١٨

وأول من وفّر الدعم السياسي والأمني للسيسي، وبحسب محللين فإن المساعدات السعودية لحكومة الانقلاب قد وصلت إلى السبعين مليار دولار.

هذا ما تم إعلانه، أما ما خفي فهو أعظم بكثير، كما جاء على لسان السيسي: "أن السعودية قد قدمت له أموالاً أكثر بكثير مما هو معلن".

الجدير بالذكر، أن عداء السعودية لم يقتصر على الإخوان، بل انتقلت حربهم السياسية والأمنية والدينية إلى الحركات الدعوية السلمية التي لم تقبل بالخضوع لإرادة المؤسسة الدينية السعودية. فبعد تصنيف الإخوان بعام ونصف، شنت الحكومة السعودية هجوما كاسحا على جماعة الدعوة والتبليغ،[٣١] والتي تعد حركة سلمية اجتماعية لا دخل لها أبدا بالسياسة من قريب أو بعيد، ولم تشارك يوما من الأيام في غمار الحرب أو السلطة. وبحسب تصريح لوزير الشؤون الإسلامية في السعودية محمد الفيفي، فإن جماعة التبليغ بالنسبة للأسرة الحاكمة في السعودية "لا تقل خطرا عن جماعة الإخوان، لأن أعضاءها لا يمكن السيطرة عليهم، فهم لا يوالون حكام الدولة التي يعملون فيها، وإنما أمراءهم في الهند

---

[٣١] يعود تأسيس جماعة الدعوة والتبليغ إلى الشيخ محمد الكندهولي (١٨٨٥ - ١٩٤٤) الذي ولد في قرية كاندهلة ولاية سهارفور بالهند. مركز هذه الجماعة في دلهي، ولا يعرف إلا القليل عن مؤسسيها. وقد انتشرت سريعا في الهند ثم باكستان وبنغلادش ثم انتقلت إلى بقية العالم الإسلامي والعربي، حيث صار لها اتباع كثر يقدرون بعشرات الملايين، ولها جهود كبير في دعوة غير المسلمين إلى الإسلام. لم تشتهر الجماعة بالمجهود العلمي أو الثقافي بقدر أسلوبها العاطفي البسيط وطريقتها الفريدة في مخالطة الناس بمختلف أصنافهم. وهي لا تتطرق رسميا أبدا للشأن السياسي أو العسكري.

وباكستان..." كما يصف الجماعة بأنها "الخطوة الأولى لتجنيد العناصر في بقية الجماعات الإرهابية التي منها الإخوان...".[٣٢]

وتماما كما حصل مع تنظيم الإخوان والدعوة والتبليغ فإن ما عرف بالحركة "السرورية"[٣٣]، لم تسلم أيضا من الحرب ضد ما تسميه الأسرة الحاكمة في السعودية تطرفا، وقد قال محمد بن سلمان في تصريح رسمي له: "شاهدنا أفلاما وثائقية كثيرة حول العالم تصف السروريين بأنهم وهابيون، نحن في الحقيقة نقول عنهم في السعودية سروريون فقط، وهؤلاء عندنا أعلى بدرجة من الإخوان المسلمين، حيث أنهم ينظرون إلى الأمور في الشرق الأوسط من منظور أكثر تطرفا، وهم بموجب قوانيننا مجرمون، وحينما نملك أدلة كافية ضد أحدهم فإننا نقوم بمقاضاتهم".[٣٤]

فابتداء من الإخوان وما عرف بالسرورية، ومرورا برجال الصحوة المستقلين، ووصولا إلى الدعوة والتبليغ، لم تقبل الأسرة الحاكمة أبدا في تاريخها بأي حركة إسلامية لا تخضع للمؤسسة الدينية السعودية، ولم تتوانَ أبدا عن محاربة أي تيار أو تنظيم إسلامي يخرج عن سياسة الأسرة الحاكمة. لعلّ ذلك كله ينبع من شعور آل سعود بضرورة تفردهم بقيادة العالم الإسلامي السني واحتكارهم

---

٣٢ تصريح الفيفي لصحيفة عكاظ المحلية - يوم الأحد بتاريخ ٢٠١٩/٠٢/١٠ – مع تصرف يسير من قبلنا دون إخلال بالمعنى

٣٣ تنسب هذه المدرسة إلى الداعية السوري محمد بن سرور زين العابدين، الذي استطاع أن يزاوج بين حركة الإخوان -وقد كان عضوا منها طيلة عشر سنين إلا أنه انشق عنها سنة ١٩٦٩ - وبين منهجية السلفية، فأسس تيارا حركيا سلفيا عرف في السعودية ودول الخليج بالسرورية. يحمل هذا التيار في مجمله نظريات سيد قطب ومحمد قطب التي تدعو لحاكمية الشريعة، ويدمج هذا بموروث السلفية الفقهي والعقدي، ويؤيد عموم الحركات الثورية في العالم الإسلامي.

٣٤ مقابلة مع مجلة التايم الأمريكية ٦ أبريل ٢٠١٨.

لشرعية التوجيه الديني التي تعطيهم نوعا من الرمزية أمام الجماهير الإسلامية، وانطلاقا من هذا فإن أي حركة إسلامية دعوية أو سياسية خارجة عن السيطرة تمثل خطرا كبيرا أمام استقرار مكانة آل سعود وأمام استمرار شرعيتهم الدينية.

الخاتمة:

يعدّ المسار السعودي الذي رسمه عبد العزيز وأولاده من بعده فريدا من نوعه في العالم الإسلامي، خاصة أن أثره السياسي والديني قد طال كلا من المغرب والمشرق الإسلامي، مرورا بالقضية الفلسطينية. كما أن هذا المسار قد تقاطع بشكل مباشر مع الأحداث المصيرية التي مرت بالشرق الأوسط، بدايةً من حرب الخليج ومرورا باحتلال أفغانستان والعراق، وانتهاءً بالثورات العربية والثورات المضادة لها.

والحقيقة أن بحثا كهذا لا يمكن أن يناقش تفاصيل سياسة آل سعود بشكل دقيق من كل نواحيها، فلا زالت علاقة آل سعود بحكام العالم الإسلامي (كالسيسي وقاديروف والسبسي وبشار...الخ) تحتاج مزيدا من الدراسة والتدقيق، ولا زال دورهم في التطبيع مع الصهاينة يحتاج مزيدا من الإيضاح والتفصيل، كما أن طبيعة علاقتهم مع الحركات الإسلامية (كالقاعدة والإخوان والطالبان...الخ) لا زالت تتطلب بحثا وتقييما؛[٣٥] خاصة وأن المراجع الموثوقة في هذه الأبواب تكاد تكون مفقودة.

غير أننا قد وصلنا -في بحثنا عن تاريخ الأسرة السعودية خلال حكمهم للدولة الثالثة- إلى المسار العام للسياسة التي قامت عليها المملكة، ولازالت تعتمدها حتى الآن إلى حد كبير. يمكننا اختصارها في المحاور التالية:

---

[٣٥] لازال أيضا تاريخ المؤسس نفسه –عبد العزيز- يحتاج مزيدا من التدقيق والبحث، خاصة أن المصادر التي قد تحسم الخلاف في طبيعة علاقته مع بريطانيا وأمريكا واليهود، وفي دوافعه وراء تأسيس الإخوان وتبني الدعوة الوهابية، لازالت مخفية عن العلن.

- لم يتوانَ آل سعود أبدا عن تقديم أي شيء مقابل حصولهم على الحماية والسلطة، فقد بذلوا ورقة العداء تجاه العثمانيين، وقبلوا -عمليّا وليس رسميا- بتقسيم العالم الإسلامي واحتلال فلسطين، وضحّوا بحريتهم السياسية من أجل كسب الحماية البريطانية، ثم قدّموا كل هذا وزيادة (النفط) في سبيل الحصول على الحماية الأمريكية.

- وفي سبيل الحفاظ على هذه الحماية، كان آل سعود -ولا يزالون- يدعمون سياسات الدول الحامية لهم، تماما كما أيدوا الحرب الأمريكية في أفغانستان والعراق، وكما سايروا السياسة الأمريكية والبريطانية في التطبيع مع اليهود والاعتراف بدولة إسرائيل المحتلة للأراضي الفلسطينية.

- بالنسبة لآل سعود، فإن الدعوة الدينية ليست إلا أداة مؤقتة للحشد وتحصيل الشرعية، وهو ما يفسّر قضاء عبد العزيز على تنظيم "إخوان من أطاع الله" بعد انتهاء وظيفته، وهو أيضا ما يفسّر سبب حملات الاعتقال التي يتعرض لها علماء ودعاة السعودية منذ سنوات عديدة، كما أنه يفسر كذلك الطريقة التي تم من خلالها تفكيك هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. والظاهر الآن أن آل سعود يتوجهون نحو التخلص من الدين على الإطلاق من خلال التمكين لحملات التغريب عبر ما يسمى هيئة الترفيه. **ولعل دافعهم الأساسي من وراء ذلك؛ إرضاء الساسة الأمريكيين الذين أصبحوا بعد ١١ سبتمبر ينظرون إلى الدعوة الوهابية -رغم تهجينها- كعدوّ خطير لأمنهم القومي لا يمكن احتواؤه.**

- لم يكتف آل سعود بالتنازل عن كل شيء للدول العظمى، بل شنوا الحرب على كل الكيانات الإسلامية والقومية (الناصريين، الإخوان،

القاعدة...الخ) التي قد تشكل تهديدا على زعامتهم للعالم الإسلامي، وسمعتهم الدينية والسياسية المحلية أو الدولية، وهو ما جعلهم أيضا يتحالفون مع معظم الحكام الدكتاتوريين في العالم العربي ويدعمون الأنظمة الفاسدة في العالم الإسلامي.

وخلاصة تقييمنا لمسارها السياسي: أن الأسرة الحاكمة اليوم في السعودية، **لا تعترف بشيء من المبادئ الدينية أو الوطنية على حساب العرش والسلطة، ولا تتوانى عن تقديم أي نوع من التنازلات السياسية والمادية في سبيل البقاء في سدة الحكم، كما أنها لا تتوانى أيضا عن محاربة أي كيان إسلامي قد يهدّد شرعيتها الدينية والسنية بغض النظر عن مشروعية أهدافه ونبل قضيّته،** وهو ما يفسر سياستها المتقلبة مع المتغيرات السياسية والاجتماعية والفكرية التي حصلت في العالم منذ العقد الثالث من القرن العشرين وحتى العقد الثاني من القرن الواحد والعشرين.

المراجع

- الكويت وأخواته – هارولد ديكسون
- الوثائق البريطانية في معرض لندن
- الاغتيال الاقتصادي للأمم – جون بيركنز
- دعوة المقاومة الإسلامية العالمية - أبو مصعب السوري
- لماذا النظام السعودي ضروري لبقاء إسرائيل - د. سعد الفقيه
- العلاقات السعودية الإسرائيلية - د. سعد الفقيه
- السعودية وإسرائيل ١٠٠عام من العلاقات - صابر مشهور
- مقابلة الأمير طلال بن عبد العزيز – الجزيرة
- مقال: العلاقات السعودية الأمريكية: تحالف دائم واختلافات طارئة
- "إخوان من أطاع الله"... تاريخ التلاعب السعودي برجال الدين - منتدى العلماء - إعداد عز الدين عمر
- كيف يتشابه استبداد ابن سلمان مع استبداد جده عبد العزيز بن سعود – عز الدين عمر - الجزيرة
- مقال: وليام شكسبير عرّاب العلاقات البريطانية السعودية – عز الدين عمر
- لماذا خصص البريطانيون راتبا شهريا لابن سعود –عز الدين عمر- الجزيرة
- مذكرات جون فليبي
- بحث السياسة الخارجية الأمريكية تجاه المملكة العربية السعودية، إعداد: لبنى عبد الله محمد علي ويسين عبد الله - المركز الديمقراطي العربي
- كتاب المملكة من الداخل – روبرت ليسي
- مقدمة في الدراسات الاستراتيجية الشرق أوسطية – إعداد الدكتور جهاد عودة

الفهرس